سورة الشعراء
مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

اللغــــة :

(باخع) : تقدم تفسير هــذه الكلمة ، والبخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد للذابح ، وفي المصباح : « وبخع نفسه بخعاً من باب نفع قتلها من وجـد أو غيظ وبخع لي بالحق بخوعاً انقاد وبذله » .

الاعراب :

(طسم ، تلك آيات الكتاب المبين) طسم تقدم إعرابها والحديث عن فواتح السور، وتلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر والمبين صفة لكتاب.

(لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) لعل للاشفاق أي فالترجي هنا بمعنى الأمر أي ارحم نفسك وارفق بها ، والكاف اسمها وباخع خبرها ونفسك مفعول به لباخع وأن وما في حيزها مفعول لأجله أي خيفة أن لا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم ، ومؤمنين خبر يكونوا .

(إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) كلام مستأنف مسوق لتعليل الأمر بإشفاقه على نفسه من الاسترسال في التحسّر والغم على عدم إيمانهم ، وان شرطية ونشأ فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره نحن ومفعول المشيئة محذوف لأنه مضمون الجواب أي إيمانهم وننزل جواب الشرط وعليهم متعلقان بننزل ومن السماء حال لأنه كان في الأصل صفة لآية والفاء حرف عطف وظلت فعل ماض ناقص معطوف على ننزل فهو مجزوم محلاً ويجوز أن تكون الفاء استئنافية وظلت بمعنى المضارع أي تظل تدوم ، وإليه جنح الجلال فيكون قد فسره بالمرفوع ، وأعناقهم اسم ظلت ولها متعلقين بخاضعين وخاضعين خبر ظلت ، وسيأتي سر المخالفة في العطف وسر مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق في باب البلاغة .

(وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) الواو عاطفة وما نافية ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به ومن حرف جر زائد وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل يأتيهم ومن الرحمن صفة لذكر ومحدث صفة ثانية أي تجدد انزاله وفق مقتضيات الأحوال وإلا أداة حصر وجملة كانوا

استثناء من أعم الأحوال فهي حالية وكان واسمها وعنه متعلقان بمعرضين ومعرضين خبر كانوا . (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) الفاء الفصيحة كأنه قيل إذا شئت أن تعرف ماذا كان موقفهم من الذكر حين أعرضوا عنه وصدفوا عن التأمل فيه فقد كذبوا. وقد حرف تحقيق وكذبوا فعل ماض وفاعل فسيأتيهم عطف على ما تقدم للوعيد والتهديد ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به وأنباء فاعل وما مضاف إليه وجملة كانوا صلة والواو اسم كان وبه متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا . (أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر وقد تقدم مثل هذا التعبير كثيراً ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل والرؤية هنا بصرية ولذلك تعدت بإلى والى الارض متعلقان بيروا وكم خبرية في محل نصب مفعول أنبتنا وأنبتنا فعل ماض وفاعل ومن كل زوج تمييز كم الخبرية ويجوز أن يكون حالاً كما ذكر أبو البقاء وكريم صفة لزوج ، وأراد بالزوج الصنف من النبات والنوع وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة . (إن في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن وما الواو حالية وما نافية وكان أكثرهم مؤمنين كان واسمها وخبرها أي سبق ذلك في علم الله ، وقال سيبويه كان زائدة وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب الفوائد . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إن أو خبر هو والجملة خبر إن والرحيم خبر ثان .

البلاغـة :

انطوت هذه الآيات على الكثير من فنون البلاغة ندرجها فيما يلي :
١ ــ المخالفة في العطف :

فقد خالف في العطف ، فعطف « فظلت » على « ننزل » ولو قيل أنزلنا لكان صحيحاً ولعله كان مما يقتضيه السياق ولكنه خولف لأن في عطف الماضي عـلى المستقبل إشعاراً بتحقيقه وأنه كائن لا محالة ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً ، وله في القرآن نظائر سترد في مواضعها .

٢ ــ المجاز العقلي :

المجاز العقلي في إسناد الخضوع للأعناق ، فقد يقال كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق والخضوع من خصائص العقلاء ، وقد كان أصل الكلام « فظلوا لها خاضعين » والسر في ذلك انه لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيـل خاضعين كما تقـدم في قوله « لي ساجدين » وهناك أقوال أخرى أوصلها علماء البيان إلى سبعة نلخصها فيما يلي :

آ ــ المراد الرؤساء كما قيل لهم وجوه وصدور .

ب ــ انه على حذف مضاف أي فظل أصحاب الأعناق ، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل الحذف مراعاة للمحذوف .

جـ ــ انه لما أضيف الى العقلاء اكتسب منهم هـذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالاضافة .

د ــ ان الأعناق جمع عنق من الناس وهم الجماعة يقال جاءنا عنق من الناس أي فوج وليس المراد الجارحة المعلومة .

هـ ــ إقحام الأعناق لبيانُ موضع الخضوع وترك الكلام على أصله .

و ــ ما ذكره من أنها عوملت معاملة العقلاءلما أسند اليها مايكون عادة من أفعال العقلاء على طريق المجاز العقلي .

ز ــ انه لما أضاف الأعناق إلى المذكر وكانت الأعناق متصلة بهم في الخلقة والتكوين أجري عليها حكمهم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية ، قال : ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة .

٣ ــ التتميم :

بقوله « أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم » فقد كان يكفي أن يقال كم أنبتنا فيها من زوج كريم وما معنى الجمع بين كم وكل والجواب أن كلاً إنما دخلت للإحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذا المحاط مفرط بالكثرة ، وبذلك تنبيه على تمام القدرة وكمالها ، وهذا هو مقتضى التتميم الذي تقدمت الاشارة إليه ، وتعريفه: أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو في صفاته ولفظه تام كما أن المقصود هنا في الآية آحاد الأزواج ويدل عليه أنه لو أسقطت « كل » فقلت : انظروا الى الارض كم أنبت الله فيها

من الصنف الفلاني لكنت مكنياً عن آحاد ذلك الصنف المشار اليه ، فإذا أدخلت كلاً فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين .

٤ ـ التتميم أيضاً :

وتمم كذلك بوصفه الزوج بالكريم وذلك لأمرين :

آ ـ ان النبات ـ كما هو معلوم ـ نوعان نافع وضار فدل بكلمة كريم أنه يقصد النوع النافع فذكر كثرة من أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار .

ب ـ أنه يقصد كلا النوعين النافع والضار ويصفهما جميعاً بالكرم تنبيهاً على أنه ماخلق شيئاً إلا لفائدة وربما خفيت عليكم أسرارها وصعب عليكم اكتناهها ولكنه تعالى عالم بما تجهلون .

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾

الاعراب :

﴿وإذ نادى ربك موسى : أن ائت القوم الظالمين ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في سرد سبع قصص هي على التوالي : قصة موسى وقصة ابراهيم وقصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب • والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك عساهم يتعظون بها ويعتبرون بما آل اليه مصير أولئك الأقوام الذين جنحوا الى المكابرة والتعنت ولجئوا الى اللجاج والسفسطة التي لا طائل تحتها ، وجملة نادى في محل جر بإضافة الظرف إليها وربك فاعل نادى وموسى مفعول به وأن ائت يجوز في « أن » أن تكون مفسرة وأن تكون مصدرية وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض وائت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت والقوم مفعول به والظالمين صفة • ﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ قوم فرعون بدل من القوم الظالمين أو عطف بيان ولعله أولى لأنهما عبارتان تعتقبان على مدلول واحد ، ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بإزالته ، والهمزة للاستفهام الانكاري ولا نافية ويتقون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة استئنافية والمقصود منها التعجب أي تعجب من عدم تقواهم ، ولا بد من تقدير معنى التعجب لأن الاستفهام الإنكاري معناه النفي ولا نافية ودخول النفي على النفي اثبات فيئول المعنى الى أنهم اتقوا الله وذلك فاسد ، ويحتمل أن تكون الجملة حالية من الضمير الذي تحمله اسم الفاعل وهو الظالمون أي يظلمون غير متقين ، واختار بعض المعربين أن تكون ألا للعرض وآخرون اختاروا أنها للتنبيه • ﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبوني ﴾ رب منادى مضاف حذف منه حرف النداء وإني إن واسمها وجملة أخاف خبرها وأن وما في

حيزها مفعول أخاف وحذفت ياء المتكلم من يكذبوني لمراعاة الفواصل (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هارون) الواو عاطفة ويضيق معطوف على خبر إن أي على أخاف فهو مرفوع مثله ويجوز عطفه على يكذبون فهو منصوب مثله وقد قرىء به والفرق بين المعنيين أن الرفع يفيد فيه ثلاث علل أو معاذير وهي : خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان ، وأما الرفع فيفيد أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة ، وصدري فاعل ولا ينطلق لساني عطف على ما قبله لحبسة في لسانه ، فأرسل الفاء الفصيحة وأرسل فعل أمر معناه الالتماس والى هارون متعلقان بأرسل وليس مراد موسى الامتناع من أداء الرسالة أو التلكؤ فيها بل أراد أن يظهر عجزه عن الاضطلاع بهذا العبء الخطير وطلب المعونة من ربه بأن يعضده بأخيه حتى يتساندا ويتضافرا على تنفيذ الأمر وتبليغ الرسالة . (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلوني) عطف على ما تقدم ولهم خبر مقدم وعلي حال وذنب مبتدأ مؤخر وهو قتله القبطي الذي قيل إنه كان خباز فرعون ، والمعنى لهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتيل فأخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنباً كما سمى جزاء السيئة سيئة . (قال : كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) كلا حرف ردع نابت عن الفعل وهو ارتدع يا موسى ولذلك عطف عليها بالفاء من قوله فاذهبا ، واذهبا فعل أمر وألف الاثنين فاعل وبآياتنا متعلقان باذهبا وجملة إنا معكم مستمعون تعليلية للأمر وإن واسمها ومستمعون خبرها والظرف متعلق بمحذوف حال أو خبر ثان أو بمستمعون نفسها ومفعول مستمعون محذوف أي ما يدور بينكما وبين فرعون وقومه ، وفي هذا الكلام مجاز سيأتي ذكره في باب البلاغة . (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) الفاء عاطفة وأتيا فرعون فعل أمر وفاعل ومفعول به فقولا عطف ، وإنا

ان واسمها أي إن كلاً منا ، ليطابق اسم ان خبرها ورسول خبرها ورب العالمين مضاف إليه وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا التطابق • (أن أرسل معنا بني إسرائيل) الأرجح أن تكون أن هنا مصدرية لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول وحروفه والمصدر المؤول في محل نصب بنزع الخافض ، وأصر الزمخشري على أنها تفسيرية بمعنى أي وجعلها غير مسبوقة بقوله فقولا بل بما تضمنه لفظ الرسول من معنى الارسال ، تقول أرسلت إليك أن أفعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحوهما ، والظرف متعلق بأرسل وبني إسرائيل مفعول به •

البلاغة :

في قوله تعالى « إنا معكم مستمعون » مجاز معناه : إنا معكم نستمع ما يجري بينكم وبينه وأنا الناصر لكما عليه ، فالاستماع قرينة للكلام المجازي لأن من سمع محاورة خصمين كان مستطيعاً الحكم بينهما ومشايعة أيهما رآه أقرب الى الحق وأدنى من الصواب ، فإذا اعترض معترض بأن الله تعالى مستمع حقيقة وسامع ولا يجوز اجراء المجاز عليه تعالى قلنا إن الاستماع يقتضي الاصغاء بالأذن كما الإبصار يتطلب تقليب الحدقتين من العين ، وكل ذلك من خواص المحدثين •

الفوائد :

يجوز أن يكون الرسول بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذ وصف به بين الواحد والتثنية والجمع ، كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال أبو ذؤيب :

ألكني إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة لأن الرسول في الأصل مصدر فجاز افراده مع تعدد معناه ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في أعلمهم ، وشبه الخبر بمكان ذي جهات على طريق الاستعارة المكنية ، والنواحي تخييل ، أو شبه توابع الخبر التي يسأل عنها تبعاً له بالنواحي على طريق الاستعارة التصريحية ، يعني أنه أعلم من غيره بذلك ، وألكني : أرسلني مصحوباً بالرسالة . ومن مجيء الرسول بمعنى الرسالة قول كثير عزة :

حلفت برب الراقصات الى منى
خلال الملا يمددن كلّ جديل

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول

فلا تعجلي يا عزّ أن تتفهمي
بنصح أتى الواشون أم بحبول

والراقصات : المطايا السائرات إلى منى في الحج ، وخلال الملا أي في أثناء الناس فيكون مخففاً من الملأ أو في الصحراء لأن الملا الصحراء والمتسع من الأرض ، والجديل الرسن في عنقها ، والواشي الذي يحسن الكلام ويموهه ويخلط الصدق بالكذب ويحرف الكلم عن مواضعه ، وما نافية أي ما تفوهت عندهم بسر ، ولا أرسلتهم الى أحد برسول أي برسالة فهو في الأصل مصدر وقد يطلق على المرسل ، والأصل يا عزة فرخم بحذف التاء ، وأن تتفهمي أي في أن تتفهمي أو لأجل أن تتفهمي، وبنصح

أي أبنصح أتى الواشون إليك أم بحبول ؟ وهي جمع حبل بالكسر وهي الداهية العظيمة ولا أدهى من الكذب .

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(قال : ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين) لا بد من تقدير مقدر محذوف أي فانطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن هاهنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين فقال : ائذن له لعلنا نضحك منه ، فأديا إليه الرسالة فعرف موسى لأنه نشأ في بيته فقال له : ألم نربك . والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ونربك فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وفينا متعلقان بنربك ووليداً حال ولبثت فعل وفاعل وفينا متعلقان بلبثت ومن عمرك حال لأنه كان صفة لسنين وسنين ظرف متعلق بلبثت أيضاً .
(وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) الواو عاطفة وفعلت فعل وفاعل وفعلتك مفعول به أو مفعول مطلق والتي نعت وجملة فعلت صلة والواو حالية وأنت مبتدأ ومن الكافرين خبر أي الجاحدين لنعمتي

والفعلة التي فعلها موسى هي قتل خبازه القبطي • (قال فعلتها إذن وأنا من الضالين) قال فعل ماض أي موسى وفعلتها فعل وفاعل ومفعول به أو مفعول مطلق أي فعلت الفعلة وإذن حرف جزاء بمثابة الجواب والواو واو الحال وأنا مبتدأ ومن الضالين خبر أي عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة وربأ بمحل النبوة عن تلك الصفة التي أطلقها عليه فروعون وهي قوله له وأنت من الكافرين فقال من الضالين أي المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل • (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) الفاء عاطفة وفررت فعل وفاعل ومنكم متعلقان بفررت ولما حينية كما يقول الفارسي ورابطة كما يقول سيبويه ، وجملة خفتكم مضاف إليها الظرف ، فوهب عطف على ففررت ولي متعلقان بوهب وربي فاعل وحكماً مفعول به وجعلني من المرسلين عطف على ما تقدم ، دفع قدحه في نبوته بهذا القول أي ان موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة ، ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية فدحضه وأبطله من أصله واجتثه من أساسه بقوله : (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لنسف الاتهام الذي وجهه إليه فرعون ، وتلك مبتدأ ونعمة خبر وجملة تمنها صفة لنعمة وعلي متعلقان بتمنها وأن وما في حيزها عطف بيان لتلكِ لأن الإشارة إلى خطة شنعاء وخصلة شوهاء لا تكتنه حقيقتها إلا بتفسيرها فجاء عطف البيان مفسراً ما أبهم فاتحاً ما أغلق ، ويجوز أن يعرب المصدر المؤول بدلاً من نعمة أو يكون في محل نصب على أنه مفعول لأجله ، وتمنها فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والهاء منصوب بنزع الخافض لأن منّ فعل لازم يتعدى بالباء أي تمن بها •

وأشار الجلال في تفسيره المختصر الى أن بعضهم قدر أول الكلام همزة أي قبل وتلك وأصل الكلام أو تلك ؟ أي ليست هذه نعمة حتى

تمن بها علي ، والمقدر هو الأخفش ، وهذه الهمزة للاستفهام الانكاري المتضمن معنى النفي كما شرحنا .

البلاغـة :

الابهـــام :

في قوله « وفعلت فعلتك التي فعلت » إبهام من غير تفسير وهو قسمان : إبهام مفسر وإبهام من غير تفسير فإن قوله « التي فعلت » يذهب فيها الوهم كل مذهب وتحمل الكثير من المعاني وهو كثير شائع في القرآن الكريم .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١)

الاعراب :

(قال فرعون : وما رب العالمين) قال فرعون فعل وفاعل والواو عاطفة لتعطف القول على قول موسى « إنا رسول رب العالمين » وما اسم

استفهام مبتدأ ورب العالمين خبره وانما أجاب بما لأنه سأل عن صفاته وأفعاله ولو أراد عينه لقال من ؟ (قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) قال موسى هو رب فرب خبر لمبتدأ محذوف وما عطف على الجنسين فلا يرد اعتراض على التثنية وهي راجعة على الجمع وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط وكان واسمها وخبرها وجواب إن محـذوف أي إن كنتم ممن يرجى منهـم النظر الصحيح والاعتبار السليم تفعكم هـذا الجواب ، أو تقدره إن كنتم توقنون بشيء فهـذا أولى ما توقنون به لسطوعه وإنارة دليله . (قال لمن حوله ألا تستمعون) قال فرعون ، ولمن متعلقان بقال وحوله ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة وهم أشراف قومه والهمزة للاستفهـام ولا نافية وتستمعون فعـل مضارع وفاعله ومفعوله محذوف أي جوابه الذي لم يطابق السؤال . (قال ربكـم ورب آبائكم الأولين) قال موسى ، وربكم خبر لمبتدأ محذوف أي هو ورب آبائكم عطف على ربكم والأولين صفة لآبائكم أجابه بهذا وإن كان داخلاً ومنتظماً في قوله رب السموات والارض وما بينهما لإغاظته وتحديه ، وسيأتي سـر ذكر الخاص بعـد العام في باب البلاغـة . (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) قال فرعون ، وجملة إن رسولكم مقول القول وان واسمها والـذي صفة وجملة أرسل اليكم صلة للموصول واللام المزحلقة ومجنون خبر إن . وهذا شأن المبطلين المتحكمين عنـدما يسقط في أيديهـم يلجئون إلى نعت صاحب الحق بالجنون أو غيره لأنهم لا يملكون الدليل على معارضته . (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) قال موسى زيادة في إغاظته والتدليل على إسفافه : هو رب المشرق والمغرب وما بينهما ، وسيأتي سر هذا الطباق في باب البلاغة ، وإن كنتم تعقلون شرط وجوابه محذوفه

أي إن كان لكم مسكة من عقل علمتم أن لا جواب لكم غير المكابرة والسفه والشطط في القول ، قال أولاً إن كنتم موقنين لأن المقام مقام تدليل واقناع ثم لما يئس واشتد اللجاج غالظهم وقابل لجاجتهم ونسبتهم إياه الى الجنون بمثلها فنفى عنهم العقل الذي يمكنهم من التمييز بين الأمور • (قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) قال فرعون ، لئن اللام موطئة للقسم وإن شرطية واتخذت فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وإلهاً مفعول به وغيري صفة واللام جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم بناء على القاعدة المشهورة وأجعلنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا ومن المسجونين في موضع نصب على أنه المفعول الثاني • (قال أو لو جئتك بشيء مبين) قال موسى ، والهمزة للاستفهام والواو للحال وكل ما كان على هذا التركيب يكون قدسبقه فعل محذوف أي أتفعل ذلك ولو ...، ولو شرطية وجئتك فعل ماض وفاعل ومفعول به وبشيء متعلقان بجئتك ومبين صفة لشيء أي ببرهان ساطع على نبوتي • (قال فأت به إن كنت من الصادقين) قال فرعون ، فأت الفاء الفصيحة أي إن كنت صادقاً في دعواك فأت ، وبه متعلقان بقوله فأت وإن شرطية وكنت فعل الشرط وكان واسمها ومن الصادقين خبر كنت وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله •

البلاغة :

العموم والخصوص :

بعد أن ذكر العموم بقوله « رب السموات والارض وما بينهما » إذ استوعب به الخلائق كلها عاد الى التخصيص بذكرهم وذكر آبائهم

والمطابقة بين المشرق والمغرب ليتأملوا في أنفسهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة ومن حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ، وطابق بين المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم ونظام ثابت لا خلل فيه في فصول السنة وحساب مستقيم أيضاً ، من أظهر ما يمكن الاستدلال به .

وعمم ثانياً بجعله من المسجونين ولم يقل لأسجننك للاشارة الى أن ذلك ديدنه فقد كان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في وهدة عميقة الغور وحيداً لا يرى الضوء فيها ولا يسمع الصوت من داخلها فكان ذلك أنكى من القتل ، وهو ديدن المعاند المكابر المحجوج حين تواتيه الأيام ويبتسم له الزمان يعتقد حين يملك قطراً في غفلة من الدهر أن على أهله أن يعبدوه ، فاللام في قوله من المسجونين للعهد أي ممن عرفت شأنهم وعهدت حالهم في سجوني ، فالتعميم هنا أبلغ كما أن التخصيص فيما سبق أبلغ ، ولله أسلوب القرآن إنه يتعالى على الأذهان السطحية البدائية ويدق على البدائه الأولى .

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

اللغـــة :

(ثعبان) : الثعبان الحية يطلق على الذكر والأنثى ويجمع عـلى ثعابين ، واشتقاق الثعبان من ثعب الماء فجره فانثعب ، وقد ظهرت هذه الثعبانية على العصا حين ألقاها . وللثاء مع العين خاصة التلون والتحيل والارهان ، يقال ثعّ يثع من باب ضرب ثعاً قاء ما أكله ، وانثعّ الأكل من فمه والدم من أنفه أو جرحـه أي انصب ، ومن أقوالهـم : سالت الثّعبان كما انساب الثعبان جمع ثَعَب وهو المسيل ، قال :

وما ثَعَبٌ باتت تطرّده الصبا   بسرّاء وادٍ منجدٍ غيرِ اتهما

ومن المجـاز : صاح به فانثعب اليه إذا وثب يجري إليه ، وشدٌ أثعوب قال :

لها إذا حَرّ الحرار واللوبْ   قوائـمٌ عوجٌ وشدٌ أثعوب

وقال أبو دؤاد :

وكل قائمـة تهوي لوجهتها   لها أتيٌ كفَرغ الدلو أُثعوب

وكلاهمـا من باب الاستعـارة إلا أن الطريق مختلف ، وثَعَب عليهم الغارة : شنّها ، وثعب البعير شقشقته : أخرجها . وثعلت أسنانه تثعل من باب فتح ثعلاً تراكبت احداها عـلى الأخرى فهو أثعل وفيه معنى التلوّن والتحيل ، وأثعل الأمر عظم وتفاقم ، والثّعل بضم الثاء المشددة دويبة تظهر في السقاء إذا خبثت ريحه ، وثعالة علم على أنثى الثعلب لا ينصرف ، وثعلب وتثعلب : راغ أو تشبه بالثعلب في روغانه ، والثعلب حيوان مشهور بالتحيل والرّوغان يتساقط شعره كل سنة ،

ومنه داء الثعلب وهو عملية تساقط الشعر ويقال للأنثى ثعلبة وللذكر ثعلبان وكلمة ثعلب تقع على المذكر والمؤنث ويجمع على ثعالب وثعال ، والثعلب أيضاً طرف الرمح الداخل في جبة السنان ، قال بشار :

وجيش كجنـــح الليـــــل يزحف بالحصى
وبالشـــوك والخطي حمـــــر ثعالبـــــه

والثعلبة أيضاً العصعص والأست . وبالجملة فهـــذه المادة ظاهرة الثعلبة والثعبانية .

(أرجه) : وأرجئه كما قرىء أيضاً بالهمز وبالتخفيف وهما لغتان يقال : أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة .

الاعراب :

(فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) الفاء عاطفة وألقى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعصاه مفعول به فإذا الفاء عاطفة وإذا فجائية وهي ظرف أو حرف وقد تقدم بحثها مفصلاً وهي مبتدأ وثعبان خبر ومبين صفة . وقد تقدم بحث المسألة الزنبورية وخـــلاف سيبويه مع الكسائي في حضرة يحيى البرمكي حولها . (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) الجملة معطوفة عـــلى سابقتها وهي مماثلة لها في اعرابهـــا . (قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم) قال فرعون ، وللملأ متعلقان بقال وحوله ظرف متعلق بمحذوف حال وللزمخشري تفنن في اعرابها نورده لروعته :

« فإن قلت : ما العامل في حوله ؟ قلت : هو منصوب نصبين نصب

في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال » •

وإن حرف مشبه بالفعل وهذا اسمها واللام المزحلقة وساحر خبر وعليم خبر ثان • (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) الجملة صفة لساحر ، وهي بيت كامل من مجزوء الرجز وليس شعراً لانتفاء القصد وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً • وأن وما في حيزها مفعول يريد ومن أرضكم متعلقان بيخرجكم وبسحره متعلقان بيخرجكم أيضاً •

(فماذا تأمرون) الفاء عاطفة وماذا اسم استفهام مفعول به لقوله تأمرون أو مفعول مطلق لكونه في معنى المصدر أو ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبر وجملة تأمرون صلة ، قال ذلك بعد أن بهره ما شاهد واستولى عليه الدهش والبهر • (قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين) قالوا فعل وفاعل وأرجه فعل أمر والهاء مفعول به وأخاه مفعول معه أو عطف على الهاء وابعث عطف على أرجه وفي المدائن متعلق بابعث وحاشرين صفة لمفعول به محذوف أي شُرَطاً يحشرون السحرة ويجمعونهم • (يأتوك بكل سحار عليم) يأتوك فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وبكل سحار متعلقان بيأتوك وعليم صفة لسحار •

الفوائد :

الشُرَط : واحده شرطي وهم الطائفة من خيار أعوان الولاة ، وفي أيامنا هم رؤساء الضابطة ورجالها سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها ، وفي الصحاح : « الشرط محركة الحرس سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها » والشرط -أيضاً أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت •

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

الاعراب :

(فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) الفاء عاطفة على مقدر وجمع فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل ولميقات جار ومجرور متعلقان بجمع ويوم مضاف اليه ومعلوم صفة واليوم المعلوم هو يوم الزينة وميقاته هو وقت الضحى ، وقد مر ذكره في طه فجدد به عهداً . (وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون ؟) وقيل معطوف على ما تقدم وللناس متعلقان به وهل حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومجتمعون خبر والجملة مقول القول وفي الاستفهام معنى الأمر كأنهم يستبطئهم ويستحثهم على الاجتماع ومنه قول تأبط شراً :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عوف بن مخراق

فهل استفهام استبطائي فيه حث على الفعل ودينار اسم رجل ورب كذلك ونصب لأنه معطوف على محل دينار لأنه مفعول معنى وأخا عوف نعت له وقيل منادى وعوف ومخراق اسمان لرجلين ويروى

عون بالنون • (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) الجملة في محل نصب حال لأن الترجي باعتبار حالة الغلبة المقتضية للاتباع وان كان مقصودهم الأصلي أن لا تتبعوا موسى ، والمعنى : راجين أن تكون الغلبة لهم فلا نتبع موسى • ولعل واسمها وجملة نتبع خبرها والسحرة مفعول به وإن شرطية وكانوا فعل الشرط وهو كان واسمها وهم ضمير فصل والغالبين خبر كانوا • (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) الفاء عاطفة ولما حينية ظرفية أو رابطة وجاء السحرة فعل وفاعل وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ولفرعون متعلقان بقالوا والهمزة للاستفهام وإن حرف مشبه بالفعل ولنا خبرها المقدم وأجراً اسمها المؤخر وإن شرطية وكنا كان واسمها وهو فعل الشرط ونحن ضمير فصل والغالبين خبر كنا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله لأن قوله أئن لنا لأجراً في معنى جواب الشرط لدلالته عليه • (قال نعم وانكم إذن لمن المقربين) قال فرعون ، ونعم حرف جواب أي لكم الأجر وزادهم بقوله وإنكم فهو عطف وان واسمها وإذن حرف جواب وجزاء واللام المزحلقة ومن المقربين خبر إن ، وعدهم بالأجر وبالقربى والزلفى لديه • (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) قال لهم موسى فعل وفاعل ولهم متعلقان بقال وجملة ألقوا مقول القول وما مفعول به وجملة أنتم ملقون صلة وأنتم مبتدأ وملقون خبر • (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) الفاء عاطفة وألقوا فعل وفاعل وحبالهم مفعول به وعصيهم عطف على حبالهم وقالوا عطف على فألقوا ، وبعزة : الباء حرف قسم وجر وعزة مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره نقسم ونحلف بعزة فرعون وإنا إن واسمها وكسرت همزتها وجوباً لوقوعها

بعد القسم كما تقدم واللام المزحلقة ونحن ضمير فصل أو مبتدأ والغالبون خبر إنا أو خبر نحن والجملة خبر إنا •

فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

الاعراب :

(فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون) الفاء عاطفة وألقى موسى عصاه فعل وفاعل ومفعول به فإذا الفاء عاطفة وإذا فجائية وهي مبتدأ وجملة تلقف خبر وما مفعول به وجملة يأفكون صلة ما أي تبتلع ما يقلبونه بتمويههم عن وجهه ويزورونه • (فألقي السحرة ساجدين) الفاء عاطفة وألقي فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل ، والفاعل الذي ناب عنه المفعول به لو صرح به هو الله عز وجل بما ألهمهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوه من المعجزة الباهرة التي ضؤل أمر السحر عندها ، وسيأتي مزيد بحث عن الإلقاء في باب البلاغة، وساجدين حال • (قالوا آمنا برب العالمين) جملة آمنا من الفعل والفاعل

مقول القول وبرب العالمين متعلقان بآمنا وجملة القول بدل اشتمال من أنقي أو حالية بتقدير قد • (رب موسى وهارون) رب بدل من رب العالمين أو عطف بيان وموسى وهارون مضاف اليه • (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) جملة آمنتم مقول القول وله متعلقان بآمنتم والظرف كذلك وأن وما في حيزها في محل جر بالاضافة ولكم متعلقان بآذن • (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) تعليل لانصياعهم لموسى وهارون وللتلبيس على قومه لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق • وان واسمها واللام المزحلقة وكبيركم خبر إن والذي صفة وجملة علمكم صلة والكاف مفعول به أول والسحر مفعول به ثان ، فلسوف : الفاء الفصيحة أي إن استمررتم في فعلكم فلسوف تعلمون وبال ما فعلتموه واللام موطئة للقسم وسوف حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع وفاعل والمفعول محذوف كما قدرناه • (لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنّكم أجمعين) اللام موطئة للقسم وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والجملة لا محل لها لأنها مفسرة بمثابة بيان لما أبهمه بقوله فلسوف تعلمون وأيديكم مفعول به وأرجلكم عطف على أيديكم ومن خلاف حال أي-مضمومة يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى وقد تقدم القول فيها ، ولأصلبنكم عطف على لأقطعن وأجمعين تأكيد للكاف • (قالوا : لا ضير إنا الى ربنا منقلبون) لا نافية للجنس وضير اسمها المبني على الفتح وخبرها محذوف أي لا ضير علينا ولا بأس وجملة إنا تعليل لعدم الضير وإن واسمها والى ربنا متعلقان بمنقلبون ومنقلبون خبر إنا • (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) إن واسمها وجملة نطمع خبر والفاعل مستتر تقديره نحن وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي

في غفران خطايانا أو على تضمين نطمع معنى نرجو فتكون إن وما في حيزها في محل نصب على المفعولية وربنا فاعل يغفر وخطايانا مفعول به وأن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي لأن كنا أو الباء فالتقدير بسبب أن كنا ، وكان واسمها وأول المؤمنين خبرها أي أول من آمن من رعية فرعون .

البلاغة :

في قوله « فألقي السحرة ساجدين » استعارة مكنية كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وقد زاد هذه الاستعارة جمالاً المشاكلة لأنه عبر بألقي عن الخرور فلم يقل فخروا ساجدين لمشاكلة الالقاءات المتقدمة .

* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ

إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

اللغـــة :

(لشرذمة) : الشرذمــة : الجماعــة القليلة من الناس وتجمع على شراذم وشراذيم ، وثياب شراذم ممزقة ، وشرذ الجمع بالتشديد فرّقه •

(حــذرون) : متيقظون وهي مبالغــة اسم الفاعــل وقد قرىء حاذرون قال أبو عبيدة : هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحــذر المتيقظ والحاذر الخائف وقيل الحــذر المخلوق مجبولاً على الحذر والحاذر من عرض فيه ذلك ، وفي المصباح: « حذر حذراً من باب تعب واحتذر واحترز كلها بمعنى واستعد وتأهب فهو حاذر وحذر والاسم منه الحذر مثل حمل ، وحذر الشيء إذا خافه فالشيء محذور أي مخوف ، وحــذرته الشيء فحــذره » وفي قراءة حادرون بالدال المهملة ، والحادر السمين القوي قال :

أحب الصــبي السوء من أجـــل أمــه

وأبغضـــه من بغضهـــا وهو حــادر

أي أن مدار حب الولـــد على حب أمه لا على حسن أوصافه ، وضمير أبغضه عائد على الصبي بدون وصفه ولكن هذه شيمة المنهمك في حب النساء .

(مشرقين) : داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت .

(فرق) : بكسر الفاء أي قطعة .

(الطود) : الجبـل أو عظيمه كما في القاموس والجمـع أطواد وطاد يطود إذا ثبت .

(وأزلفنا) : قربنا .

الاعراب :

(وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبـــادي إنكـم متبعون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة للشروع في الأمر الموجه الى موسى بأن يسير بقومه الى جهة البحر ليلاً وذلك بعد ثلاثين سنة من الحوادث الآنفة الذكر . وأوحينا فعل وفاعل والى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول دون حروفه وأسر فعل أمر من أسرى أي سار ليلاً ، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر من سرى لغة أسرى ، وبعبادي متعلقان بأسر أو حال أي مصحوباً بعبادي وجملة إنكم متبعون تعليل للأمر بالإسراء . (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) الفاء عاطفـة وإن كان في الوقت انقطـاع لأنهم كما يروى شغلوا بدفن موتاهم من الوباء الذي اجتاح مصر ، وأرســل فرعون

فعل وفاعل وفي المدائن حال وحاشرين مفعول به • (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) الجملة مقول قول محذوف منصوب على الحال أي قائلاً وإن واسمها واللام المزحلقة وشرذمة خبرها وقليلون صفة لأنهم كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لقوم فرعون وسيأتي في باب البلاغة سر الجمع بالمذكر السالم لقليل • (وانهم لنا لغائظون) الواو عاطفة أو حالية وإن واسمها ولنا متعلقان بغائظون واللام المزحلقة وغائظون خبر إن أي فاعلون ما يغيظنا • (وإنا لجميع حذرون) الواو عاطفة أو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وجميع خبر أول وحذرون خبر ثان أي ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور ، أراد فرعون أن يغطي الصدع الذي أصاب هيبته فوصف نفسه ورهطه بأبلغ الأوصاف الدالة على أصالة المنزلة وقوة الشكيمة • (فأخرجناهم من جنات وعيون) الفاء استئنافية وأخرجناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن جنات وعيون متعلقان بأخرجناهم ، وأراد البساتين التي كانت على جانبي النيل والأنهار الصغيرة المتفرعة من النيل والموزعة على الدور ، وسيأتي وصف مسهب لمصر في باب الفوائد • (وكنوز ومقام كريم) عطف على جنات وعيون ، وأراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها لأن ما فوقها انطمست معالمه أو لأنهم لم ينفقوها فيما يجب انفاقه من خير • (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) كذلك نعت لمصدر محذوف أي أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ويجوز أن تعرب الكاف صفة لمقام كريم أي مقام مثل ذلك المقام الذي كان لهم ويجوز أن تعرب الكاف رفعاً على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك ، وأورثناها الواو عاطفة أو اعتراضية ولعله أرجح وأورثناها فعل وفاعل ومفعول به أول وبني اسرائيل مفعول به ثان أي بعد إغراق فرعون وقومه • (فأتبعوهم مشرقين) الفاء عاطفة وأتبعوهم فعل ماض وفاعل ومفعول به ثان أي

لحقوهم ومشرقين حال • (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة وتراءى الجمعان فعل ماض وفاعل أي تقابلا ورأى كل واحد منهما الآخر وجملة قال لا محل لها لأنها جواب لما وأصحاب فاعل قال ، وجملة إنا لمدركون مقول القول • (قال كلا إن معي ربي سيهدين) قال موسى ، وكلا حرف ردع وزجر وأراد موسى أن ينحي عليهم باللائمة لخور أعصابهم وفتور عزائمهم أي لن يدركونا وإن معي تعليل لهذا الردع وان حرف مشبه بالفعل والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وربي اسمها المؤخر وجملة سيهدين استئنافية وغلط من أعربها حالاً وسيأتي التفصيل في باب الفوائد • (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) الفاء عاطفة وأوحينا فعل وفاعل والى موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة واضرب بعصاك البحر فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبعصاك متعلقان باضرب فانفلق الفاء الفصيحة وقد تقدمت كثيراً أي فضرب فانفلق • (فكان كل فرق كالطود العظيم) الفاء عاطفة وكان واسمها والكاف اسم بمعنى مثل خبرها أو هو جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والعظيم صفة للطود • (وأزلفنا ثم الآخرين) الواو عاطفة وأزلفنا فعل وفاعل وثم ظرف بمعنى هناك والآخرين مفعول به وأراد بهم قوم فرعون أي قربناهم من قوم موسى • (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) وأنجينا عطف على ما تقدم وهو فعل وفاعل وموسى مفعول به ومن عطف على موسى ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة من وأجمعين تأكيد لمن • (ثم أغرقنا الآخرين) عطف على ما تقدم • (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم بمؤمنين) تعليل لما تقدم أي إنما جعلنا ذلك وقدرناه ليكون آية وموعظة للناس

ولكن ما تنبه إليها أكثرهم ، وفي ذلك خبر إن المقدم واللام المزحلقة والواو حرف عطف وما نافية وكان واسمها والباء حرف جر زائد ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر كان وستأتي زيادة الباء في خبر كان في باب الفوائد • (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) عطف على ما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز الرحيم خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن •

البلاغة :

في قوله تعالى : « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » الشرذمة هي الطائفة أو الجماعة القليلة كما ذكرنا في باب اللغة وكان يمكن الاكتفاء بها تعبيراً عن القلة ولكنه وصفها بالقلة القليلة زيادة في احتقارهم واستصغار شأنهم ثم جمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع المذكر السالم الذي هو للقلة فهذه أربعة أوجه تتساند لتقليلهم وهناك وجه خامس وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة الى غيره من الموصوفين • فتأمل هذا فإنه من روائع النكت •

الفوائد :

١ ــ شروط وقوع الحال جملة :

تقع الحال جملة بشروط ثلاثة :

١ً ــ أن تكون الجملة خبرية وهي المحتملة للصدق والكذب ، وهذا الشرط مجمع عليه لأن الحال بمثابة النعت وهو لا يكون بجملة

إنشائية ، وأما ما ورد في الحديث : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا هاء هاء » فهو على إضمار القول أي إلا قائلين هاء وهاء من جهة البائع والمشتري .

وفي شرح التسهيل للمرادي أن الخبرية تتناول الشرطية وأنه يجوز وقوعها حالاً ، ولكن كلام المغني يخالفه ، والتحقيق أن الكلام في الجملة الشرطية إن كان هو الجزاء والشرط قيد له فالجزاء إن كان خبراً فالجملة الشرطية خبرية وإن كان إنشاء فإنشائية وان كان الكلام مجموع الشرط والجزاء فليست خبرية لأن الأداة أخرجتها عن ذلك .

هذا وقد غلط من قال في قول أحد المولدين :

أطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصمّاء قد أثرا

أن لا ناهية وان الواو للحال ، قال في المغني : وهذا خطأ والصواب في الواو أنها عاطفة ، إما مصدراً يسبك من أن والفعل على مصدر متوهم من الامر السابق أي ليكن منك طلب وعدم ضجر ، أو جملة على جملة ، وعلى الأول ففتحة تضجر اعراب ولا نافية ، وعلى الثاني فالفتحة بناء للتركيب والأصل ولا تضجرن بنون التوكيد الخفيفة فحذفت للضرورة ولا ناهية ، والعطف مثل : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » ثم استأنف ابن هشام في المغني كلامه في النوع الثامن من الجهة السادسة فقال « ثم الأصح أن الفتحة يعني فتحة تضجر اعراب مثلها في لا تأكل السمك وتشرب اللبن لا بناء لأجل نون توكيد محذوفة » .

٢ً ــ أن تكون الجملة غير مصدرة بدليل استقبال لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال وذلك ينافي الاستقبال ، وغلط من أعرب « سيهدين » من قوله تعالى : « إني ذاهب الى ربي سيهدين » حالاً ، وبيان غلطه من جهة الصناعة ظاهر ، وأما من جهة المعنى فلأنه صير معنى الآية سأذهب مهدياً ، فصرف التنفيس الى الذهاب وهو في الآية للهداية ، وأجيب بأن مهدياً وقع بعد الذهاب الذي فيه تنفيس ، فيلزم أيضاً أن يكون فيه تنفيس كالمقيد . وأما قولهم لأضربنه إن ذهب وإن مكث فإنما جاز وقوع الشرطية فيه حالاً وإن كانت مصدرة بدليل استقبال وهو إن لأن المعنى لأضربنه على كل حال إذ لا يصح اشتراط وجود الشيء وعدمه لشيء واحد .

٣ً ــ أن تكون مرتبطة إما بالواو والضمير معاً لتقوية الربط نحو « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » فجملة هم ألوف حال من الواو في خرجوا وهي مرتبطة بالواو والضمير وهو هم ، أو بالضمير فقط دون الواو نحو « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » فبعضكم مبتدأ وعدو خبره ولبعض متعلقان بعدو أو حال منه والجملة حال من الواو في اهبطوا أي متعادين يضل بعضكم بعضاً وهي مرتبطة بالضمير فقط وهو الكاف والميم ، أو مرتبطة بالواو فقط دون الضمير نحو « لئن أكله الذئب ونحن عصبة » فجملة ونحن عصبة حال من الذئب مرتبطة بالواو فقط ولا دخل لنحن في الربط لأنها لم ترجع لصاحب الحال .

٢ ــ وصف مصر لعمرو بن العاص :

ولما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان صف لي مصر فكتب اليه :

« ورد كتاب أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ يسألني عن مصر ، اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخطر وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان ، كجري الشمس والقمر ، له أوانٌ يدرُّ حلابُه ، ويكثر فيه ذبابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها ، حتى إذا ما اصلخمّ عجّاجُه ، وتعظّمت أمواجه ، فاض على جانبيه ، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض إلا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن في المخايل ورق الأصائل ، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه كأول ما بدا في جريته ، وطما في دِرّته فعند ذلك تخرج أهل ملّةٍ مَحْقُورة ، وذمة مخفورة ، يحرثون الأرض ، ويبذرون بها الحبّ ، يرجون بذلك النماء من الرب ، لغيرهم ما سعوا من كدهم ، فناله منهم بغير جدّهم ، فإذا أحدق الزرع وأشرق ، سقاه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فبينمامصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء ، فإذا هي ديباجة رقشاء فتبارك الله الخالق لما يشاء » الى آخر تلك الرسالة الممتعة .

وجاء في خطط المقريزي ما يجلو غوامض هذه الرسالة :

« ووصف بعضهم مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء ، فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في أشهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بالمياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها إلا بالزوارق ، وأما المسكة السوداء فإن في أشهر بابه وهاتور وكيهك

ينكشف الماء عن الارض فتصـير أرضاً سوداء وفي هـذه الأشهر تقع الزراعات ؛ وأما الزمردة الخضراء فإن في أشهر طوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الارض وربيعها فتصير خضراء كأنها الزمردة ، وأما السبيكة الحمراء فإن في أشهـر برمودة وبشنس وبئوئة يتورّد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظراً ومنفعة » .

٣ ــ زيادة الباء في خبر كان :

تختص ليس وكان بجواز زيادة الباء في خبريهما وتكثر زيادتها في خبر ليس وما الحجازية ، أما كان فلا تزاد إلا إذا سبقها نفي أو نهي كما في الآية ، وكقول الشنفرى :

وإن مُـدّت الأيدي الى الزاد لـم أكن
بأعجلهـم إذ أجشـع القوم أعجـل

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

الاعراب :

(واتل عليهم نبأ ابراهيم) الواو عاطفة واتل معطوف على اذكر المقدرة عاملاً في قوله : « وإذ نادى ربك موسى » للشروع في القصة الثانية وعليهم متعلقان باتل ونبأ ابراهيم مفعول به • (إذ قال لأبيه ولقومه ما تعبدون) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو بدل من نبأ بدل اشتمال فيكون العامل فيه اتل ، وقيل منصوب بنبأ ابراهيم أي وقت قوله لأبيه وقومه : ما تعبدون ، وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف إليها ولأبيه متعلقان بقال ولقومه معطوفة ، وما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لتعبدون وجملة ما تعبدون مقول القول • (قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) جملة نعبد أصناماً في محل نصب مقول القول ، فنظل الفاء عاطفة وتظل فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره نحن ولها متعلقان بعاكفين وعاكفين خبر نظل ، وفي الكلام اطناب سيأتي في باب البلاغة • (قال : هل يسمعونكم إذ تدعون) هل حرف استفهام ويسمعونكم فعل مضارع وفاعل والكاف

مفعول به ولا بد من تقدير محذوف أي يسمعون دعاءكم فتكون متعدية لواحد أو يسمعونكم تدعون فتكون متعدية لاثنين وقد قامت الجملة المقدرة مقام المفعول الثاني ، وإذ ظرف متعلق بيسمعونكم وهو كما يقول الزمخشري ، لحكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال التي كنتم تدعونها فيها هل سمعوكم إذ دعوتم ، وهو أبلغ في التبكيت ، وجملة تدعون مجرورة بإضافة الظرف اليها . (أو ينفعونكم أو يضرون) عطف على يسمعونكم . (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) بل إضراب انتقالي تفادوا به الاجابة عن استفهامه وكأنهم وجدوا أنفسهم حقيقة في معزل عن التفكير والمساءلة وانهم لم يرجعوا الى عقولهم فيناقشوا ما يعبدون ، هل يسمع ؟ هل ينفع ؟ هل يضر ؟ وإنما هو مجرد تقليد درجوا عليه دون التأمل في مغابّه أو النظر الى عواقبه ونتائجه . ووجدنا فعل وفاعل وآباءنا مفعول أول لوجدنا وجملة يفعلون هي المفعول الثاني ، وكذلك نعت لمصدر محذوف أي يفعلون فعلاً مثل ذلك أو تجعل الكاف مفعولاً به مقدماً ليفعلون ولعله أولى. (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون) الهمزة للاستفهام الانكاري المتضمن معنى الاستهزاء والسخرية ، وقد تقدم أن « رأيتم » في مثل هذا التعبير إما أن تكون بمعنى أخبروني فتكون متعدية لمفعولين أولهما اسم الموصول وثانيهما محذوف وهو جملة تقديرها هل هو جدير بالعبادة ، وإما أن تكون رأى بمعنى عرف وهي تنصب مفعولاً واحداً والمعنى هل تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون ، والفاء عاطفة على محذوف كما قدرناه ، وقد تقدمت نظائر كثيرة له في مثل هذا التركيب ، وجملة كنتم صلة ما وجملة تعبدون خبر كنتم . (أنتم وآباؤكم الأقدمون) أنتم تأكيد للضمير في تعبدون وآباؤكم عطف على أنتم والأقدمون صفة لآباؤكم . (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) الفاء تعليلية وإن

واسمها وعدو خبرها ولي صفة لعدو والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة ، قال :

وقـــوم عليّ ذوي مئرةٍ أراهم عدوّاً وكانوا صديقا

ويروى مرة بالكسر وهي القوه وشدة الجدال والمئرة العداوة . يقول : رب قوم أصحاب قوة عليّ أراهم اليوم أعداء وكانوا أصدقاء .

وإلا أداة استثناء ورب نصب عــلى الاستثناء والاستثناء منقطع ولذلك تقدر إلا بمعنى لكن ، وفي الآية فن التعريض وسيأتي في باب البلاغـــة .

(الذي خلقني فهو يهدين) الذي يجوز فيه النصب على النعت لرب العالمين أو البدل أو عطف البيان ، أو الرفع عــلى أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو الذي خلقني ، وغلط أبو البقاء فأعرب الذي مبتدأ وخبره جملة هو يهدين ولم يتكلم عن الفاء وهذا مردود لأن الموصول معين ليس عاماً ولأن الصلة لا يمكن فيها التجــدد فلم يشبه الشرط ، والصحيح أنها استئنافية وهو مبتدأ وجملة يهديني خبره وحذفت الياء لمراعاة الفواصل . (والذي هو يطعمني ويسقين) عطف على ما سبق وهو مبتدأ وجملة يطعمني خبر . (وإذا مرضت فهو يشفين) الواو عاطفة ومرضت فعل وفاعــل أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء من الله تعالى تأدباً ، كما قال الخضر « فأردت أن أعيبها » وقال « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » وسيأتي مزيد بحث في هذا الصدد في باب البلاغة . (والذي يميتني ثم يحيين) عطف على ما تقدم وعطف يحيين على يميتني بثم خلاف ما تقدم لتراخي المــدة واتساع الأمر بين

الإماتة والإحياء في الآخرة • (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) والذي عطف على ما قبله وجملة أطمع صلة وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن يغفر ولي متعلقان بيغفر وخطيئتي مفعول يغفر ويوم الدين ظرف متعلق بيغفر أيضاً • (رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين) رب منادى مضاف لياء المتكلم حذف منه حرف النداء وهب فعل أمر أراد به الدعاء ولي متعلقان بهب وحكماً مفعول به وألحقني عطف على هب وبالصالحين متعلقان بألحقني • (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) واجعل عطف على ما تقدم ولي مفعول اجعل الثاني ولسان صدق مفعول اجعل الأول والاضافة من اضافة الموصوف إلى صفته وفي الآخرين حال أي الذين يأتون بعدي الى يوم القيامة • (واجعلني من ورثة جنة النعيم) من ورثة مفعول اجعلني الثاني وجنة النعيم مضاف الى ورثة • (واغفر لأبي إنه كان من الضالين) لأبي متعلقان باغفر وجملة إنه تعليل لطلب الغفران له وان واسمها وجملة كان خبرها ومن الضالين خبر كان • (ولا تخزني يوم يبعثون) الظرف متعلق بتخزني وجملة يبعثون في محل جر بإضافة الظرف إليها • (يوم لا ينفع مال ولا بنون) يوم ظرف في محل نصب بدل من يوم الأول وهذا يؤكد أنه من كلام ابراهيم ، ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى في هذا اليوم ولا مانع من إعرابه بدلاً أيضاً أي متعلق بما تعلق به الظرف الأول وجملة لا ينفع مال في محل جر بإضافة الظرف اليها ولا بنون عطف على مال • (إلا من أتى الله بقلب سليم) يجوز في هذا الاستثناء أن يكون منقطعاً أي من غير الجنس ومعناه لكن من أتى الله ، ويجوز أن يكون متصلاً وفيه وجهان أحدهما أن يكون بدلاً من المحذوف أو استثناء منه فهو في محل نصب على الوجهين والتقدير لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا من أتى ، ويجوز أيضاً أن يكون بدلاً

من فاعل فهو في محل رفع وغلب من يعقل ويكون التقدير إلا مال من وبنو من فإنه ينفع نفسه أو غيره ، وجعل الزمخشري من مفعول ينفع أي لا ينفع ذلك إلا رجلاً أتى الله • وبقلب متعلقان بأتى أو بمحذوف حال أي مصحوباً وسليم صفة لقلب •

البلاغـة :

في هذه الآيات سمو منقطع النظير من حيث البلاغة البيانية تتقطع دونه الأعناق وتخرس الألسن ، وسنجنح الى اختصار الكلام لأن فيه متسعاً من القول يضيق به صدر هذا الكتاب •

١ ــ الاطناب :

ــ في قوله : « قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين » وكان مقتضى جواب السؤال وهو : « ما تعبدون » أن يقولوا : أصناماً ، لأنه سؤال عن المعبود وحسب كقوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » و « ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق » ولكنهم أضافوا الى الجواب زيادة شرحوا بها قصتهم كاملة لأنهم قصدوا إظهار ابتهاجهم ، واعلان افتخارهم ، وذلك شائع في الكلام تقول لبعضهم ماذا تلبس ؟ فيقول : ألبس البرد الأتحمي فأجر أذياله بين جواري الحي الحسان • وقالوا نظل لأنهم كانوا يعكفون على عبادتها في النهار دون الليل ، وهذه هي مزية الاطناب تزيد في اللفظ عن المعنى لفائدة مقصودة أو غاية متوخاة فإذا لم تكن ثمة فائدة في زيادة اللفظ فإنه يكون تطويلاً مملاً بادي الغثاثة ظاهر الركاكة •

٢ ــ التعريض :

وذلك في قولــه « فإنهم عدو لي إلا رب العالمـين » فإنه صور المسألة في نفسه ، والعداوة مستهدفة شخصه ، كأنه يعرض بهم قائلاً : لقد فكرت في المسألة ملياً وأمعنت النظر فيها طويلاً فرأيت عبادتي لها عبادة للعــدو الذي يتربص به الدوائر للايقاع ، فاذا بلـغ المرء من الاسفاف مدى يحب فيه عدواً ويؤثره بالعبادة فذلك هو الارتطام في مزالق الغيّ ومهاوي الضلال ، وقد يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغه التصريح لأنه يلفت انتباهــه ويسترعي أنظاره فيتأمــل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ، ومنه ما يحكى عن الشافعي : أن رجــلاً واجهــه بشيء فقال له : لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب .

٣ ــ أسرار حروف العطف :

وهنا موضع دقيق المسلك لطيف المرمى قلما ينتبه إليه أحد أو يتفطن إليه كاتب ، فإن أكثر الناس يضعون حروف العطف في غــير مواضعهافيجعلون ما ينبغي أن يجر بـ «على» بـ «في» في حروف الجر،كما أنهـم يعطفون دون أن يتفطنوا الى سر الحرف الذي عطف به الكلام فقد قال تعالى « والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين » فالأول عطفه بالواو التي هي لمطلق الجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء ، والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ، ثم عطف الثاني بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، ثم عطف الثالث بثم لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جيء في عطفه بثم التي هي للتراخي . وهذا من الأسرار التي يجدر بالكاتب الإلمـام بها حتى يقيس عليها ويعطف عــلى كل بما يناسبه ويقع موقع السداد منه .

٤ ــ التفويف :

ولم يسبق أن تحدثنا فيما غبر من كتابنا عن هذا الفن وهو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف والنسيب وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة من أختها بالسجع غالباً مع تساوي الجمل في الرتة ، ويكون بالجمل الطويلة والجمل المتوسطة والجمل القصيرة ، فمثال المركب من الجمل الطويلة : « الذي خلقني فهو يهـدين » إلى قوله « وألحقني بالصالحين » ففي هذه الآيات فنون شتى منها :

آ ــ المناسبة :

في قوله : « خلقني » و « يطعمني » •

ب ــ التنكيت :

في قوله : « وإذا مرضت فهو يشفين » فإن النكتة التي أوجبت على الخليل إسناد فعل المرض الى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه عز وجل إذ أسند إليه أفعال الخـير كلها وأسند فعل الشر الى نفسه وللاشارة الى أن كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط الانسان في مأكله ومشربه وغير ذلك •

ج ــ حسن النسق :

فإنه قدم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق عـلى المخلوق واعتراف المخلوق بنعمته ، فإنه أول نعمة ، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق عـلى الإيجاد والاختراع وحكمته ، ثم ثنى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الايجاد

من سائر النعم ، ثم تلتّث بالاطعام والاسقاء اللذين هما مادة الحياة وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم ، وذكر المرض وأسنده إلى نفسه أدباً ، كما قلنا ، مع ربه ، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك الى ربه ، ثم ذكر الإماتة مسنداً فعلها الى ربه لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام ، ثم أردف ذكر الموت بذكر الإحياء بعد الموت وفيه مع الإقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدرة والايمان بالبعث ، وكل هذه المعاني جملٌ ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعاني الجمل المعطوفة كما تقدم.

د ـ صحة التقسيم :

فقد استوعبت هذه لآيات أقسام النعم الدنيوية والأخروية من الخلق والهداية والإطعام والاسقاء والمرض والشفاء والموت والحياة والايمان بالبعث وغفران الذنب.

ه ـ التخلص :

وهو فن عجيب يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى غيره آخر وجعل الأول سبباً اليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، فمما جاء من التخلص هذه الآية التي تسكر العقول وتسحر الألباب ، ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون ، سؤال مقرر لا سؤال مستفهم ، ثم أنحى على آلهتهم باللائمة فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تعي ولا تسمع ، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً عن أن يكون حجة ، ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر

الإله الذي لا تجب العبادة إلا له ولا ينبغي الرجوع والإنابة إلا إليه ، فصور المسألة في نفسه دونهم « فإنهم عدو لي » على معنى : إني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعـــدو وهو الشيطان فاجتنبتها ، وآثرت عبادة من بيده الخير كله ، وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا : ما نصحنا ابراهيم إلا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى الى القبول لقوله وأبعث على الاستماع منه ، ولو قال انهم عدو لكم لم يكن بهذه المثابة فتخلص عند تصويره المسألة في نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليــه تلك الصفات العظام ، فعظــم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وأنشأه إلى حين يتوفاه مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ليعلم من ذلك أن من هــذه صفاته حقيق بالعبادة واجب عــلى الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته ، ثم تخلص من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الأوابين لأن الطالب من مولاه إذا قدم قبل سؤاله وتضرعــه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنجح لحصول الطلبة ، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله من آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار .. فتدبر هــذه التخلصات البديعة المودعــة في أثناء هذا الكلام .

٦ ــ التقديم :

وفي قوله : « رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين » التقديم فقد استوهب الحكم أولاً ثم طلب الإلحاق بالصالحـين ، والسر فيه دقيق جداً ، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به وعكسه غير ممكن لأن العلم صفة الروح

والعمل صفة البدن وكما أن الروح أشرف من البدن كذلك العلم أفضل من الإصلاح •

٧ ــ المجاز المرسل :

وفي قوله « واجعل لي لسان صدق » مجاز مرسل إذ المراد باللسان هنا الثناء وذكر اللسان مجاز لأنه سببه فالعلاقة هي السببية وقد تقدم ذلك مراراً ، وقيل هو مجاز من اطلاق الجزء على الكل لأن الدعوة باللسان •

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

الاعراب :

(وأُزْلفتِ الجنةُ للمتقين) الواو عاطفة والجملة معطوفة على لا ينفع وإنما أورده بصيغة الماضي للدلالة عـلى تحقق الوقوع عندما تدنو الجنة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بما ينتظرهم فيها من نعيم وعنـدما تدنو النار من موقف الأشقياء ينظـرون اليها ويتحسرون على أنهم مسوقون اليها . وأزلفت فعل ماض مبني للمجهول أي قربت والجنة نائب فاعـل وللمتقـين متعلقان بأزلفت . (وبرزت الجحيم للغاوين) عطف على الجملة المتقدمة . (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ؟) الواو عاطفة وقيل فعل ماض مبني للمجهول ولهم متعلقان بقيل أي على سبيل التوبيخ ، وأين اسم استفهام في محل نصب عـلى الظرفية المكانية وهو متعلق بمحـذوف خبر مقـدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كنتم صلة وجملة تعبدون خبر كنتم . (من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) من دون الله حال وهل حرف استفهام وينصرونكـم فعـل مضارع وفاعـــل ومفعول به وأو حرف عطف وينتصرون فعل مضارع وفاعل . (فكبكبوا فيها هم والغاوون) الفاء حرف عطف وكبكبوا فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهم ضمير فصل والغاوون عطف على الواو في كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور ضمير الفصـل . (وجنود إبليس أجمعون) وجنود عطف على الواو أيضاً وابليس مضاف اليه وأجمعون تأكيد للواو وما عطف عليها . (قالوا وهم فيها يختصمون) قالوا فعل وفاعل والواو حالية وهم مبتدأ وفيها متعلقان بيختصمون وجملة يختصمون خبر هم ، والتخاصم بين الشياطـين ومتبعيهم فالضمـير يعود عـلى الغاوون . (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف

تقديره نقسم وهو متعلق بقالوا وإن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف أي إنه وجملة كنا خبر إن وكان واسمها واللام الفارقة وفي ضلال خبر كنا ومبين صفة • (إذ نسويكم برب العالمين) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو متعلق بمبين أو بفعل محذوف دل عليه ضلال ولا يجوز أن يتعلق بضلال لأن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية والمعنى تالله لقد كنا في غاية الضلال المبين وقت تسويتنا إياكم يا هذه الأصنام برب العالمين في استحقاق العبادة وأنتم أذل المخلوقات وأعجزهم • (وما أضلنا إلا المجرمون) الواو عاطفة أو حالية وما نافية وأضلنا فعل ومفعول به مقدم وإلا أداة حصر والمجرمون فاعل أضلنا وهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما قال تعالى « ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » • (فما لنا من شافعين) الفاء الفصيحة وما نافية ولنا خبر مقدم ومن حرف جر زائد وشافعين مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه خبر مقدم • (ولا صديق حميم) عطف على شافعين وحميم صفة لصديق • (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) الفاء استئنافية ولو حرف للتمني في مثل هذا الموضع كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى « لو » و« ليت » من التلاقي في التقدير ، ويجوز أن تكون على أصلها للشرط ، والجواب محذوف تقديره لفعلنا كيت وكيت ، وأن حرف مشبه بالفعل وهي ومافي حيزها مفعول لفعل محذوف تقديره نتمنى وقد نابت عنه لو ، أو فاعل لفعل محذوف إن كانت لو للشرط ، ولنا خبر أن المقدم وكرة اسم أن المؤخر ، فنكون الفاء للسببية ونكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء واسم نكون ضمير مستتر تقديره نحن ومن المؤمنين خبر نكون • (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إن وخبرها المقدم واسمها المؤخر وما نافية وكان واسمها وخبرها •

(وإن ربك لهو العزيز الرحيم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إن أو خبر هو والرحيم خبر ثان .

البلاغة :

١ ـ في قوله « فكبكبوا فيها هم والغاوون » قوة اللفظ لقوة المعنى ، وهذا مما انفرد في التنبيه إليه ابن جني في كتاب « الخصائص » فإن الكبكبة تكرير الكب ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها وليست الزيادة في اللفظ دالة على قوة المعنى بصورة مطردة بل ان المدار في ذلك على الذوق ، خذ لك مثالاً زيادة التصغير فهي زيادة نقص فرجيل أنقص من رجل في المعنى ولكنه أكثر حروفاً منه .

٢ ـ الايضاح :

وقد تقدم ذكره كثيراً وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه ، والاشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي إعرابها ومعاني النفس دون الفنون وهو هنا في قوله : « ولا صديق حميم » فإن الصديق الموصوف بصفة حميم هو الذي يفوق القرابة ويربو عليه وهو أن يكون حميماً ، فالحميم من الاحتمام وهو الاهتمام أي يهمه أمرنا ويهمنا أمره وقيل من الحامة وهي الخاصة من قولهم حامة فلان أي خاصته .

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

الاعراب :

(كذبت قوم نوح المرسلين) كلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية القصة الثالثة وكذبت قوم نوح المرسلين فعل وفاعل ومفعول ، وأنث الفعل باعتبار معنى القوم وهو الأمة والجماعة وفي المصباح :

« القوم يذكر ويؤنث فيقال قام القوم وقامت القوم وكـذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو رهط ونفر » وفي الزمخشري والبيضاوي: « القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة » وهذا محمول على الأغلب فإن قلت : كيف قال كذبت قوم نوح المرسلين وهم لم يكذبوا إلا نوحاً وحده قلت هو كقولهم فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد . (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) الظرف متعلق بكذبت وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف إليها ولهم متعلقان بقال وأخوهم فاعل قال ونوح بدل وانما جعله أخاهم جرياً على أسلوبهم في قولهم : يا أخا العرب ويا أخا تميم يريدون يا واحداً منهم ومنه بيت الحماسة :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات عـلى ما قال برهانا

وألا أداة عرض وتتقون فعل مضارع وفاعل . (إني لكم رسول أمين) تعليل لعرضه عليهم الجنوح الى التقوى وان واسمها ولكم متعلقان بمحـذوف حال أو برسول ورسول خبر وأمـين صفة . (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحـة واتقوا الله فعـل أمر وفاعـل ومفعول به وأطيعون الفاء عاطفة وأطيعون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحـذوفة لمراعاة الفواصـل مفعول به . (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) الواو عاطفة وما نافية وأسألكـم فعـل مضارع وفاعـل مستتر ومفعول به وعليه متعلقان بمحذوف حال ومن حرف جر زائد وأجر مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول به وإن نافية وأجري مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى رب العالمين خبر . (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها قريباً وقد صدرت القصص الخمس بالأمر بالتقوى للدلالة عـلى اتفاق الأديان السماوية على وجوب معرفة الحق واتباعه وكررت الجملة نفسها تأكيداً لهـذه

الغاية السامية • (قالــــوا : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الهمـزة للاستفهام الإنكاري ونؤمن فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ولك متعلقان بنؤمن والواو للحال واتبعك الأرذلون فعل ومفعول به وفاعل ، وحق واو الحال هنا أن يضمر بعدها قد وهـذا ضرب مـن السخافة يقيسون كفاءة الاتباع بمقدار ما يتمتعون به من مال وحطام أو بما يتميزون به من حسب وجاه ولكن الاسلام سوى بين المسلمين كافة • (قال وما علمي بما كانوا يعملون) الواو استئنافية وما يحتمل أن تكون استفهامية وأن تكون نافية فعلى الأول تكون في محل رفع بالابتداء وعلمي خبرها وبما متعلقان بعلمي على كل حال وعلى جعلها نافية يكون الخبر محذوفاً ليصير الكلام به جملة ، وجملة كانوا صلة ما وجملة يعملون خبر كانوا • (إنْ حسابهم إلا على ربي لو تشعرون) إن نافية وحسابهم مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى ربي خبر حسابهم ولو امتناعية وتشعرون فعل مضارع مرفوع وجواب لو محـذوف كما أن مفعول تشعرون محذوف تقديره ذلك وتقـدير الجواب ما عبتموهم وما نسبتم إليهم أي نقص • (وما أنا بطارد المؤمنين) الواو عاطفة وما حجازية وأنا اسمها والباء حرف جر زائد وطارد مجرور لفظاً خبر ما محلاً والمؤمنين مضاف إليه • (إن أنا إلا نذير مبـين) إن نافية وأنا مبتدأ وإلا أداة حصر ونذير خبر ومبـين صفة • (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكوننّ من المرجومين) اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل ضمير مستتر تقـديره أنت ولتكونن الـلام جواب القسم وجواب الشرط محذوف على حسب القاعدة المشهورة :

واحـذف لـدى اجتمـاع شرط وقسم

جواب ما أخـــرت فهـــو ملتـــزم

وتكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة واسم تكونن ضمير مستتر تقديره أنت ومن المرجومين خبر . (قال : رب إن قومي كذّبون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وان واسمها وجملة كذبون خبرها وكذبون فعل ماض وفاعل ومفعول به وقد حذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل . (فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين) الفاء الفصيحة وافتح فعل أمر معناه الدعاء وفاعله مستتر تقديره أنت وبيني ظرف متعلق بافتح وبينهم عطف على بيني وفتحاً يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً ويجوز أن يكون مفعولاً به والفتح هنا من الفتاحة بمعنى الحكومة ، والفتاح الحاكم سمي بذلك لفتحه مغالق الأمور وفي القاموس : « الفتاحة بالضم والكسر ويقال بينهما فتاحات أي خصومات » والمعنى احكم بيننا بما يستحقه كل منا والمراد أنزل العقوبة بهم ولذلك قال ونجني . ونجني الواو عاطفة ونجني عطف على احكم ومن الواو عاطفة أو للمعية ومن عطف على الياء أو مفعول معه ومعي ظرف متعلق بمحذوف صلة من ومن المؤمنين حال . (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) الفاء استئنافية وهو من كلامه تعالى وأنجيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن مفعول معه أو عطف على الهاء ومعه ظرف متعلق بمحذوف صلة وفي الفلك متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الظرف والمشحون صفة للفلك والمشحون المملوء . (ثم أغرقنا بعد الباقين) ثم حرف عطف للتراخي وأغرقنا فعل وفاعل وبعد ظرف زمان مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة لفظاً لا معنى والمراد بعد انجائهم ، والباقين مفعول أغرقنا . (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) كلام مستأنف لبيان العبرة من هذه القصة وان حرف

مشبه بالفعل وفي ذلك خبر مقدم واللام المزحلقة وآية اسم إن المؤخر والواو عاطفة أو حالية وما نافية وكان واسمها ومؤمنين خبرها يعني أن أكثريتهم الساحقة لم تؤمن ولذلك أخـذوا ولو كان نصفهم مؤمنين على الأقل لنجوا • (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) الواو عاطفـة وان واسمها واللام المزحلقة وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعزيز خبر إن أو هو والرحيم خبر ثان وقد تقدم إعراب نظائرها مراراً •

البلاغـة :

التكرير في قوله : « فاتقوا الله وأطيعون » للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق على كل واحد منهما بسبب وهو الأمانة في الأول، وقطع الطمع في الثاني ، ونظيره قولك : ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيراً ؟ ألا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيراً ؟ •

وفيه أيضاً التقديم ، قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته لأن تقوى الله علة لطاعته •

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ

﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

اللغـــة :

(ريع) : الريع بكسر الراء وفتحها قـال في الأساس واللسان : « ونزلوا بريع ورَيْع رفيع ورِيعـة ورَيعة رفيعة وهي المرتفع من الأرض وتقول : يبنون بكل ريعة وملكهـم كسراب بقيعة » وقال في القاموس : « والريع بالكسر والفتح المرتفع من الأرض أو كل فج أو كل طريق أو الطريق المنفرج في الجبل والجبل المرتفع الواحدة بهاء ... وبالكسر الصومعة وبرج الحمام والتلّ العالي ... وبالفتح فضل كل شيء كريع العجين والدقيق والبذر » قلت واستعمال بمعنى استغلال الريع صحيح يقال طعام كثير الريع ، وأراعت الحنطـة وراعت زكت ، وأراعها الله تعالى وأراع الناس هذا العام : زكت زروعهم ويقولون كم ريع أرضك وهو ارتفاعها قال المسيب بن علس :

في الآل يرفعهـا ويخفضهـا ريـــع يلوح كأنه سحـــل

والضمير في البيت للظعائن أي هي في الآل وهو السراب يرفعها تارة ويخفضها أخرى ريع أي طريق مرتفع تارة ومنخفض أخرى أو مكان عال ترتفع بصعوده وتنخفض بالهبوط منه • ويقال ليس له ريع أي مرجوع وغلة •

(آية) : الآية : العلم يهتدي به المارة وكان بناؤها للعبث واللهو لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها وقيل المراد بها القصور المشيدة ترفعون بناءها وتجتمعون فيها فتعبثون بمن يمر بكم •

(تعبثون) : في المصباح : « عبث عبثاً من باب تعب لعب وعمل مالا فائدة فيه فهو عابث » •

(مصانع) : جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها وهي الحوض أو البركة فقوله مصانع أي حيضاناً وبركاً تجمعون فيها الماء فهي من قبيل الصهاريج ، وفي المختار : « المصنعة بفتح الميم وضم النون أو فتحها كالحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع الحصون » وفي القاموس وشرحه التاج : « المصنعة والمصنعة بفتح الميم وفتح النون وضمها ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض والجمع مصانع والمصانع أيضاً : القرى والحصون والقصور والمصنعة أيضاً الدعوة للأكل يقال كنا في مصنعة فلان وموضع يعزل للنحل بعيداً عن البيوت » وجميع هذه المعاني صالحة للتفسير •

(بطشتم) : البطش : السطوة والأخذ بعنف وللباء مع الطاء فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة فهي تدل على السطوة والقوة وعدم المبالاة بالآخرين يقال : أبطأ علي فلان وبطؤ في مشيته وتباطأ في أمره وتباطأ

عني وفيه بطء وما كنت بطيئاً ولقد بطؤت وفرس بطيء من خيل بِطاء وما أبطأ بك عنا ؟ وما بطّأ بك ؟ وما بطّأك ؟ قال عمر بن ربيعة :

فقمت أمشي فقامت وهي فاترةٌ
كشارب الرّاح بطّا مشيه السكر

ولا يخفى مافي ذلك كله من الادلال بالنفس والزهو بها وعدم المبالاة بالآخرين ، ويقال بطحه على وجهه فانبطح وفيه كل الاذلال والصّغار والمهانة ونظر حويص الى قبر عامر بن الطفيل فقال : هو في طول بطحتي أراد في طول قدي منبطحاً على الأرض وبطاح بطح واسعة عريضة وتبطّح السيل اتسع مجراه ، قال ذو الرمة :

ولا زال من نَوْء السماك عليكما
ونوء الثريا وابلٌ متبطّح

وتبطّح فلان تبوّأ الأبطح قال :

هلاّ سألت عن الذين تبطحوا
كرم البطاح وخير سُرّة وادي

وأبطخ القوم وأقثئوا كثر عندهم البطيخ والقثاء ونظر الليث الى قوم يأكلون بطيخاً فقال :

لما رأيت المبطخين أبطخوا فأكلوا منه ومنه لطخوا

ورأيته يدور بين المطابخ والمباطخ ولا يفعل ذلك إلا تياه مفتخر

بغناه وثرائه ، وبطر فلان تجاوز الحد في الزهو والمرح ورجل أشر بطر وأبطره الغنى ومن أقوالهم : « وما أمطرت حتى أبطرت » يعني السماء وان الخصب يبطر الناس كما قال :

قوم إذا اخضرّت نعالهم يتناهقون تناهق الحُمُرِ

وامرأة بطيرة شديدة البطر وبيطر الدابة بيطرةً و « أشهر من راية البيطار » والدنيا قحبة يوماً عند عطار ويوماً عند بيطار ومن أقوالهم أيضاً : «وعهدي به وهو لدوابنا مبيطر فهو اليوم علينا مسيطر » ومن حكمهم المأثورة : « لا تُبطرنّ صاحبك ذرعه » أي لا تقلق امكانه ولا تستفزه بأن تكلفه غير المطاق وذرعه من بدل الاشتمال وبطر فلان نعمة الله استخفها فكفرها ولم يسترجحها فيشكرها ومنه « بطرت معيشتها » وذهب دمه بِطراً أي مبطوراً مستخفاً حيث لم يُقتَصّ به وهو بهذا الأمر عالم بَيْطار ، قال عمر بن أبي ربيعة :

ودعاني ما قال فيها عتيقٌ وهو بالحسن عالم بيطار

والبطش معروف وقد تقدم ومن مجازه : فلانٌ يبطش في العلم بباع بسيط ، وبطشت بهم أهوال الدنيا ، ومن أقوالهم : « وسلكوا أرضاً بعيدة المسالك قريبة المهالك ، وقُذِفوا بمباطشها ، وما انقذوا من معاطشها » وجاءت الركاب تبطش بالأحمال أي ترجف بها ، وبطّ القرحة بالمبط وهو المبضع وعنده بطة من السليط والبط والواحدة بطة للمذكر والمؤنث وهو طير مائي قصير العنق والرجلين وهو غير الإوز وجمعه بطوط وبطاط والبطة أيضاً إناء كالقارورة أبطح ، وهو باطل بين البطلان وبطّال بيّن البطالة بكسر الباء وقد بطل بفتح الطاء وبطل بيّن

البطالة بفتح الباء وقد بطل بضم الطاء وقد بطل بضم الطاء أيضاً يبطل بالضم بَطالة وبطولة صار شجاعاً فهو بطل وجمعه أبطال ومؤنثه بطلة وجمعها بطلات ، والبطن معروف وألقت الدجاجة ذات بطنها ونثرت المرأة للزوج بطنها إذا أكثرت الولد وبطنه وظهره أي ضربهما منه وقد ُبطن فلان بالبناء للمجهول إذا اعتل بطنه وهو مبطون وبطين ومبطان ومُبطن أي عليل البطن وعظيمه وأبطن البعير شدّ بطانه وباطنت صاحبي شددته معه وبطّن ثوبه بطانة حسنة واستبطن أمره عرف باطنه وتبطّن الكلأ : جوّل فيه وتوسطه ، قالت الخنساء :

فجاء يبشّر أصحابه : تبطّنتُ يا قوم غيثاً خصيبا

وتبطّن الجارية جعلها بطانة له ، قال امرؤ القيس :

كأني لم أركب جواداً للذّةٍ ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

ويقال أنت أبطن بهذا الأمر خبره وأطول له عشره ، وهو بطانتي وهم ِبطانتي وفلان عريض البطان أي غني ، وشأوٌ بطين أي بعيد ، قال زهير :

فبصبص بين أداني الغضى وبين عنيزة شأواً بطينا

الاعراب :

(كذبت عاد المرسلين) فعل وفاعل ومفعول به والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة الرابعة (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الظرف متعلق بكذبت وقال لهم أخوهم فعل وفاعل وهود بدل من أخوهم وألا أداة عرض وتتقون فعل مضارع وفاعل والجملة مقول

القول • (إني لكم رسول أمين) الجملة تعليل لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى وإن واسمها ولكم متعلقان بمحذوف حال أو برسول ورسول خبر إن وأمين صفة لرسول • (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها كثيراً • (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) وهذه تقدم إعرابها بحروفها قريباً • (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وتبنون فعل مضارع وفاعل وبكل ريع متعلقان بتبنون وآية مفعول به وجملة تعبثون في محل نصب على الحال • (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) وتتخذون عطف على تبنون وتتخذون فعل مضارع وفاعل ومصانع مفعول به ولعلكم تخلدون لعل واسمها والجملة خبرها وجملة الرجاء في محل نصب على الحال أي راجين ومؤملين أن تخلدوا في الدنيا • (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) الواو عاطفة واذا ظرف متعلق بالجواب وهو بطشتم الثانية ، وجملة بطشتم الأولى في محل جر بإضافة إذا اليها وجبارين حال أي غير مبالين بالنتائج والعواقب وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم وأما في الحق فالبطش بالسيف والسوط جائز (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وأطيعون عطف على اتقوا • (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) واتقوا فعل أمر وفاعل والذي مفعول به وجملة أمدكم صلة وبما متعلقان بأمدكم وجملة تعلمون صلة • (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) جملة أمدكم الثانية بدل من جملة أمدكم الأولى بدل بعض من كل لأنها أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما فتكون داخلة في الأولى لأن ما تعلمون يشمل الانعام وغيرها وقيل هي مفسرة للجملة الأولى فتكون لا محل لها وسيأتي بحث بدل الجملة من الجملة في باب الفوائد • (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان واسمها وجملة أخاف خبرها وعليكم متعلقان بأخاف وعذاب مفعول به

ويوم مضاف إليه وعظيم صفة . (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) سواء خبر مقدم وعلينا متعلقان بسواء والهمزة للاستفهام ووعظت فعل ماض وفاعل وأم لم تكن من الواعظين معادل لقوله أوعظت وهمزة التسوية وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أي سواء علينا وعظك ، وأتى بالمعادل هكذا دون قوله أم لم تعظ لتواخي القوافي وقال الزمخشري : « وبينهما فرق لأن المعنى سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ » . (إن هذا إلا خلق الأولين) إن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وخلق خبر هذا والأولين مضاف إليه والمعنى ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ونحن بهم مقتدون . (وما نحن بمعذبين) الواو عاطفة وما نافية حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد ومعذبين مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ما . (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الفاء الفصيحة وكذبوه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، فأهلكناهم عطف على فكذبوه وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن واللام المزحلقة وآية اسم ان والواو حرف عطف وما نافية وكان فعل ماض ناقص وأكثرهم اسمها ومؤمنين خبرها . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تكرر إعرابها كثيراً .

الفوائد :

تبدل الجملة من الجملة بشرط أن تكون الجملة الثانية أوفى من الأولى بتأدية المراد ولذلك لا يقع البدل المطابق في الجمل وإنما يقع بدل البعض من الكل كما تقدم في الآية أو بدل الأشتمال كقوله :

أقول له ارحل لا تقيمنّ عندنا
وإلاّ فكن في السرّ والجهر مسلما

فلا تقيمنّ عندنا بدل اشتمال من ارحل لما بينهما من المناسبة اللزومية وليس توكيداً له لاختلاف لفظيهما ، لا بدل بعض من كل لعدم دخوله في الأول ، ولا بدل بدلاً مطابقاً لعدم الاعتداد به ، ولم يشترط النحاة الضمير في بدل البعض والاشتمال في الأفعال والجمل لتعذر عود الضمير عليها ، وقد تبدل الجملة من المفرد بدلاً مطابقاً كقول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان

أبدل جملة كيف يلتقيان من حاجة وأخرى وهما مفردان وانما صح ذلك لرجوع الجملة الى التقدير بمفرد أي الى الله أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما ، فتعذر مصدر مضاف الى فاعله وهو بدل من هاتين ، ولم يسلم بعض النحاة بذلك لاحتمال أن تكون جملة كيف يلتقيان مستأنفة نبه بها على سبب الشكوى وهو استبعاد اجتماع هاتين الحاجتين .

قال بعضهم : وهل يجوز عكسه ؟ أعني ابدال المفرد من الجملة أو لا ، وصرح أبو حيان في البحر بأن المفرد يبدل من الجملة كقوله تعالى « ولم يجعل له عوجاً قيماً » فقيماً عنده بدل من جملة لم يجعل له عوجاً لأنها في معنى المفرد أي جعله مستقيماً ، وقال ابن هشام في مغني اللبيب : « ان جملة « كيف خلقت » بدل من الابل بدل اشتمال والمعنى الى الإبل كيفية خلقها ومثله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » وكل جملة فيها كيف من أسم مفرد » .

فائدة هامة :

إذا أبدل اسم من اسم استفهام أو اسم شرط وجب ذكر همزة الاستفهام أو « إن » الشرطية مع البدل ليوافق المبدل منه في المعنى نحو : كم مالك ؟ أعشرون أم ثلاثون فكم اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم ومالك مبتدأ مؤخر وعشرون بدل من كم ويسميه النحاة بدل تفصيل وهو ينحصر في المطابق ، ومن جاءك أعلي أم خالد ؟ فمن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة جاءك خبره وعليّ بدل من « من » الاستفهامية بدل تفصيل ، ونحو : من يجتهدْ إن علي أو خالد فأكرمه : فمن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ والجملة بعده خبره وإن حرف شرط لا عمل له هنا لأنه جيء به لبيان المعنى لا للعمل وعليّ بدل من الضمير المستتر في يجتهد وخالد معطوف على عليّ وجملة فأكرمه في محل جزم جواب الشرط ، ونحو : حيثما تنتظرني في المدرسة وإن في الدار أوافك ، فحيثما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول فيه متعلق بتنتظرني وفي المدرسة جار ومجرور في موضع النصب على البدلية من محل حيثما .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا

تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

اللغــة :

(نخل) : النخل والنخيل شجر التمر المعروف له ساق مستقيم طويل ذو عقد واحدته نخلة ونخيلة وفي المصباح ما ملخصه : النخــل اسم جمع الواحدة نخلة وكل اسم جمــع كذلك يؤنث ويذكر وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً .

(طلعها هضيم) ما يطلع منها كنصل السيف في جوفها شماريخ القنو ، وتشبيهه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل وفي المختار : « ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج لدخول بعضه في بعض » من قولهم كشح هضيم ، وفي القاموس والتاج : « الطلــع : المقــدار ، تقول : الجيش طلع ألف ومن النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها » والهضيم النضيج الرخص اللين اللطيف .

(فارهين) : وقرىء فرهين : بطرين حاذقين في العمل من الفره وهو شدة الفرح ، وقال في الكشاف : « والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة » •

(شرب) : بكسر الشين أي نصيب •

(فعقروها) : أي ضربها بعضهم بالسيف في ساقيها وكان اسمه قدار وسنورد القصة التي نسجت حول هذه القصة لتكون حافزاً للأقلام على صوغ قصة فنية منها •

الاعراب :

(كذبت ثمود المرسلين) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة الخامسة وهي فعل وفاعل ومفعول وثمود اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو ثمود جد صالح وفي التعبير عن صالح بالجمع ما تقدم • (إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الظرف متعلق بكذبت والجملة تقدم إعرابها • (إني لكم رسول أمين) تقدم إعرابها أيضاً • (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها أيضاً • (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) تقدم إعرابها أيضاً • (أتتركون فيما هاهنا آمنين) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتتركون فعل مضارع مبني للمجهول وفيما متعلقان بتتركون وها حرف تنبيه وهنا اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول وآمنين حال من الواو في تتركون أي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله : (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) في جنات بدل من قوله فيما هاهنا بإعادة الجار ، وما بعده

عطف على جنات وطلعها مبتدأ وهضيم خبر والجملة صفة لنخل • (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) الواو حرف عطف وتنحتون عطف على تتركون فهو في حيز الاستفهام الانكاري التوبيخي ومحل جملة الاستفهام التوبيخية نصب على الحال ومن الجبال جار ومجرور متعلقان بتنحتون وبيوتاً مفعول به وفارهين حال وقد مرت جملة مماثلة فيها النحت الذي هو النحر والبري • (فاتقوا الله وأطيعون) تقدم إعرابها • (ولا تطيعوا أمر المسرفين) الواو للحال ولا ناهية وتطيعوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وأمرَ المسرفين مفعول وسيأتي معنى إطاعة الأمر في باب البلاغة • (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) الذين صفة للمسرفين وجملة يفسدون صلة وفي الارض متعلقان بيفسدون ولا يصلحون عطف على قوله يفسدون وسيأتي سر العطف في باب البلاغة • (قالوا : إنما أنت من المسحرين) إنما كافة ومكفوفة وأنت مبتدأ ومن المسحرين خبر أي الذين سحروا كثيراً حتى غلب السحر على عقولهم والجملة مقول القول • وقيل المسحر هو المعلّل بالطعام والشراب فيكون المسحر الذي له سَحْرٌ وهو الرئة فكأنهم قالوا : إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب •

(ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين) ما نافية وأنت مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلنا صفة ، فأت الفاء الفصيحة أي إن كنت صادقاً كما تزعم فأت ، وبآية متعلقان بقوله فأت وإن شرطية وكنت كان واسمها وهو في محل جزم فعل الشرط ومن الصادقين خبر كنت وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله أي فأت بآية • (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) هذه مبتدأ وناقة خبر والجملة مقول القول ولها خبر مقدم وشرب مبتدأ مؤخر والجملة صفة

لناقة ولكم خبر مقدم وشرب يوم مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة ليوم . (ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) الواو عاطفة ولا ناهية وتمسوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به وبسوء متعلقان بتمسوها فيأخذكم الفاء هي السببية ويأخذكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء والكاف مفعول به وعذاب فاعل ويوم مضاف اليه وعظيم صفة يوم . (فعقروها فأصبحوا نادمين) الفاء عاطفة وعقروها فعل وفاعل ومفعول به ، فأصبحوا الفاء عاطفة وأصبحوا نادمين فعل ماض ناقص والواو اسمها ونادمين خبرها ، ولك أن تجعل أصبحوا تامة والواو فاعل ونادمين حال وسيأتي في قصة صالح ما يرجح أنها تامة . (فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الفاء عاطفة وأخذهم فعل ماض ومفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر وجملة إن في ذلك لآية تعليل للأخذ والواو حالية أو عاطفة وما نافية وكان واسمها وخبرها . (وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم إعرابها كثيراً .

البلاغة :

١ ـ في قوله «ولا تطيعوا أمر المسرفين» مجاز عقلي لأن الأمر لا يطاع وإنما هو صاحبه أي ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم .

٢ ـ الارداف :

فقد كان يكفي أن يقول « الذين يفسدون في الأرض » ولكنه لما كان قوله يفسدون لا ينفي صلاحهم أحياناً أردفه بقوله « ولا يصلحون » لبيان كمال افسادهم وإسرافهم فيه .

الفوائـد :

قصة صالح :

في القرطبي : « أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، فقال لهم صالح : انه سيولد في شهركم هذا غـلام يعقرها ويكون هلاككم عـلى يديه ، فقالوا : لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه ، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأبى أن يذبح أبنه وكان لم يولد له قبـل ذلك ، فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً فكـان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا : لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا ، وغضب التسعة على صالح لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا : نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى إذا كان الليـل وخرج صالح الى مسجـده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقونا ويعلمون أنا قد خرجنا الى سفر ، وكان صالح لاينام معهم في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهـم فرأى ذلك الناس ممن كان قد اطلع عـلى ذلك فصاحوا في القرية : يا عباد الله أما رضي صالح أن أمر بقتلهم أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة .

رواية عقر الناقة :

وروي أن مسطعاً ألجأ الناقـة الى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وقيـل انه قال لا أعقرها حتى

ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون : أترضين ؟ فتقول : نعم وكذلك صبيانهم .

هذا وقد ضرب بقدار المثل في الشؤم فقال زهير مشيراً إليه وقد غلط فجعله أحمر عاد مع أنه أحمر ثمود وذلك في أبيات له يصف الحرب ويحذر قومه من مغابها ونوردها هنا جملة لأهميتها :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتَضْرَ إذا ضرّيتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقحْ كشافاً ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

أي أنها تلد لكم أبناء كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة وهو قدار بن سالف .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

اللغـــة :

(الذكران) : أحد جموع الذكر والذكر خلاف الأنثى وفي المختار: الذكر ضد الأنثى وجمعه ذكور وذكران وذكارة كحجارة » وأورد له في القاموس جموعاً عديدة فقال « وجمعه ذكور وذكورة وذكران وذِكار وذكارة وذِكَرة » .

(القالين) : المبغضين والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي المصباح : « وقليت الرجل أقليه من باب رمى قِلىً بالكسر والقصر وقد يمد إذا أبغضته ومن باب تعب لغة » وعبارة القاموس : « قلاه كرماه ورضيه قِلىً وقلاء ومَقْلية أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه أو قلاه في الهجر وقليه في البغض » .

(الغابرين) : قال في الكشاف « ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك : غير الناجين » » وفي المصباح : « غبر غبوراً من باب قعد بقي وقد يستعمل فيما مضى أيضاً فيكون من الأضداد ، وقال الزبيدي : غبر غبوراً مكث وفي لغة بالمهملة للماضي وبالمعجمة للباقي وغُبَّر الشيء وزان سكر بقيته » وفي القاموس : « غبر غبوراً مكث وذهب ضد ، وهو غابر من غُبَّر كركّع وغُبْر الشيء بالضم بقيته » •

الاعراب :

(كذبت قوم لوط المرسلين) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة السادسة • (إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون) لم يكن لوط أخاهم في النسب وانما جعله أخاهم جرياً على أساليبهم كما تقدم أو باعتبار انه كان ساكناً ومجاوراً لهم في قريتهم • (إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) صدّر كل قصة بهذه الآيات وقد تقدم إعرابها فجدد به عهداً • (أتأتون الذكران من العالمين) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتأتون الذكران فعل مضارع وفاعل ومفعول به ومحل جملة الاستفهام التوبيخية النصب على الحال ومن العالمين حال • (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وتذرون عطف على تأتون داخل في حيز الاستفهام التوبيخي وهو فعل مضارع وفاعل وما مفعول به وجملة خلق لكم ربكم صلة ومن أزواجكم حال على أن « من » للتبيين ويجوز أن تكون للتبعيض وسيأتي تفصيل هذا كله في باب البلاغة ، وبل حرف اضراب انتقالي وأنتم مبتدأ وقوم خبر وعادون صفة أي متجاوزون الحلال الى الحرام لأن معنى العادي

المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد . (قالوا : لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) قالوا فعل ماض وفاعل ولئن اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم ولتكونن اللام واقعة في جواب القسم وتكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والواو اسم تكونن ومن المخرجين خبر أي من جملة من أخرجناهم وسيأتي تفصيل مسهب عن هذا التعبير في باب البلاغة . (قال إني لعملكم من القالين) إن واسمها ولعملكم متعلقان بالقالين ومن القالين خبر إن والجملة مقول القول وتشدد بضعهم فقال في حواشي البيضاوي ما يلي : « من القالين » متعلقان بمحذوف أي لقالٍ من القالين وذلك المحذوف خبر إن ومن القالين صفة ولعملكم متعلقان بالخبر المحذوف ولو جعل من القالين خبر إن لعمل القالين في لعملكم فيفضي الى تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع أنه لا يجوز . قلت : وهذا على دقته وملاءمته للقواعد فيه تكلف شديد يخرجه الى الإحالة ولا داعي لهذا التشدد مع أن استعمال أل موصولاً يكاد يكون نادراً .

(رب نجني وأهلي مما يعملون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وقد حذف منه حرف النداء ونجني فعل أمر للدعاء والياء مفعول به وأهلي مفعول معه أو معطوف على الياء ومما متعلقان بنجني وجملة يعملون صلة ما . (فنجيناه وأهله أجمعين) الفاء عاطفة على محذوف مقدر لتتساوق القصة ونجيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وأهله مفعول معه أو معطوف على الهاء وأجمعين تأكيد . (إلا عجوزاً في الغابرين) إلا أداة استثناء وعجوزاً مستثنى بإلا وهي امرأته وفي الغابرين صفة لعجوزاً كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة . (ثم دمرنا الآخرين) عطف على ما تقدم . (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)

وأمطرنا عطف على دمرنا وعليهم متعلقان بأمطرنا ومطراً مفعول به ، فساء الفاء حرف عطف وساء فعل للذم ومطر المنذرين فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم والمراد بالمطر الحجارة التي انثالت عليهم . (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) إن وخبرها المقدم واسمها المؤخر والواو حالية وما نافية وكان واسمها وخبرها . (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم إعرابها كثيراً .

البلاغة :

١ ـ قوله تعالى « وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم » في هذه الآية الابهام بقوله « ما خلق لكم » وقد أراد به إقبالهنّ ، وفي ذلك مراعاة للحشمة والتصون و « من » تحتمل البيان وتحتمل التبعيض .

٢ ـ العدول الى الصفة :

في قوله « لتكونن من المخرجين » وقوله « من القالين » عدول عن الجملة الفعلية الى الصفة ، وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول عن التعبير بالفعل الى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون « لأجعلنك من المسجونين » وأمثاله كثيرة ، والسر في ذلك أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة ، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فانه يفهم أمراً زائداً على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة ، استمع الى قوله

تعالى « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » كيف ألحقهم لقباً رديئاً وصيّرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقباً لاصقاً به ، وهذا عام في كل ما يرد عليك وورد فيما مضى من أمثال ذلك فتدبره واقدره قدره .

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

اللغـــة :

(الأيكة) : في اللغــة الشجرة الكثيفة وجمعهــا أيك ، قال في القاموس « أيك يأيك من باب تعب أيكاً واستأيك الشجر : التف وصار أيكة والأيك الشجر الكثيف الملتف الواحدة أيكة » فتطلق الأيكة على الواحدة من الأيك وعلى غيضة شجر ملتفة قرب مدين ، قالوا : وكان شجرهم الدوم وهي قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام ، وقد اختلف المفسرون واللغويون فيها وسننقل لك بعض ما قالوه •

قال الزمخشري :

« قرىء أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجــه ، ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلــد فتوهم" قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة (ص) بغير ألف ، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين عــلى حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولا عــلى هذه الصورة لبيان لفظ المخفّف وقد كتبت في سائر القرآن عــلى الاصل والقصة واحدة عــلى أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكــة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم » •

وقال الجلال السيوطي :

« وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء وهي غيضة شجر قرب مدين » وهذا الصنيع يقتضي أن اللام الموجودة

لام التعريف وحينئذ لا يصح قوله وفتح الهاء إذ الاسم المقرون بأل سواء كانت معرفة أو غيرها يجر بالكسرة سواء وقع فيه نقل أم لا ، ووجه بعضهم فتح الهاء بأن الاسم بوزن ليلة فاللام من بنية الكلمة ولا نقل بل حركة اللام أصلية فجره بالفتحة حينئذ ظاهر .

وقال الشهاب الخفاجي :

« وقد استشكل هذه القراءة أبو علي الفارسي وغيره بأنه لا وجه للفتح لأن نقل حركة الهمزة لا يقتضي تغيير الاعراب من الكسر الى الفتح وأجيب بأن ليكة على هذه القراءة اسم البلدة وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث واللام فيها جزء من الكلمة لا المعرفة لأنها توجب الصرف فقول القائل انها على النقل غير صحيح وبهذا اندفع ما قاله النحاة فانهم نسبوا هذه القراءة الى التحريف » .

وقد أطال السمين الحلبي في توجيه هذه القراءة جداً ونصه :

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسماً غير معرف بأل مضافاً إليه أصحاب هنا وفي « ص » خاصة ، والباقون الأيكة معرفاً بأل موافقة لما أجمع عليه في « الحجر » وفي «ق» وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى وتجرأ بعضهم على قارئها وسأذكر لك من ذلك طرفاً : فوجهها على ما قال أبو عبيدة أن ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والأيكة اسم للبلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيهاً بما بين مكة وبكة » .

وقال صاحب القاموس :

« ومن قرأ الأيكة فهي الغيضة ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية وموضعه اللام ووقع في البخاري اللايكة جمع أيكة وكأنه وهم » .

وقال شارحه في التاج :

« قوله وكأنه وهم لأنه ليس له وجه ولم يتكلم به أحد من الأئمة ولكنه رضي الله عنه ثقة فيما ينقل فينبغي أن يحسن الظن به وقد أجاب عنه شراحة وصححوه » .

وقال أبو البقاء :

« أصحاب الأيكة يقرأ بكسر التاء مع تحقيق الهمزة وتخفيفها بالإلقاء وهو مثل الأنثى والانثى وقرىء ليكة بياء بعد اللام وفتح التاء وهذا لا يستقيم إذ ليس في الكلام ليكة حتى يجعل علماً فإن ادعي قلب الهمزة لاماً فهو في غاية البعد » .

الايك والحمام في الشعر :

هذا وقد استهوى الأيك وحمامه الشعراء فكثرت أشعارهم فيه ، أنشد أبو حاتم لرجل من بني نهشل :

ألام على فيض الدموع وإنني

بفيض الدموع الجاريات جدير

أيبكي حمام الأيك من فقد إلفه

وأصبر عنها إنني لصبور

وأنشد الرياشي عن الأصمعي ، قال : أنشدني منتجع بن نبهان لرجل من بني الصّيداء :

دعت فوق أفنـــان من الأيك موهنـاً
مطوقــــة ورقـــاء في إثـر آلف

فهـــاجت عقابيـــل الهوى إذ ترنمت
وشبت ضـــرام الشوق تحت الشراسف

بكت بجفـون دمعهـــا غـــير ذارف
وأغـرت جفوني بالـدموع الـذّوارف

والطريف في هذا الباب قول عوف بن محلّم :

ألا يا حمـــام الأيك إلفك حاضـــر
وغصنك ميّـــاد ففيـــم تنـوح

أفق لا تنـــح من غـــير شيء فإنـني
بكيـــت زماناً والفؤاد صحيـــح

ولوعـــاً فشطّت غربـــةً دار زينبٍ
فهـــا أنا أبكـــي والفؤاد جريـــح

(القسطاس) : بكسر القاف وضمهـا وقد قرىء بهما : الميزان السوي فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل •

(ولا تعثوا) : ولا تفسدوا يقال عثا في الأرض وعثي وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وفي المختار : « عثا في الأرض

أفسد وبابه سما وعثي بالكسر عثواً أيضاً وعثى بفتحتين بوزن فتى قال الله تعالى : « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » قلت قال الأزهري : القراء كلهم متفقون على فتح الثاء دل على أن القرآن نزل باللغة الثانية » .

(والجبلّة) : بكسر الجيم والباء وتشديد اللام المفتوحة : الخلق المتحد الغليظ وفي القاموس « الجَبْلة والجِبْلة والجَبَلة والجبلّة وهي التي قرىء بها : الوجه وما استقبلك منه والخلقة والطبيعة والأصل والقوة وصلابة الأرض » والجبل بفتح الجيم مع سكون الباء مصدر جبله الله على كذا أي طبعه وخلقه واسم الطبيعة جبلة ، ولهذه الكلمة بهذا المعنى ألفاظ كثيرة وهي الجبلة والخيم والطبع والنحيزة والطبيعة والنبيتة والضريبة والسجية والشنشنة والخليقة والسليقة والشيمة والغريزة والنجار وقد نظم بعضهم معاني الجبل فقال :

قد جبل الله الطباع جَبْلا ... وسمي المال الكثير جِبْلا
وعدد الناس الكثير جُبْلا ... بالضم إن أردت أو بالكسر
وجه وقوة وغيث جَبْلة ... وامرأة غليظة والجِبْلَه
جماعة أو كثرة كالجُبله ... لقدح من خشب ذي كبر

(كسفاً) : بكسر الكاف وفتح السين وقرىء كسْفاً بسكون السين وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقال أبو عبيدة : « الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة وقرأ السلمي وحفص كِسَفاً جمع كسفة أيضاً وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر » وفي الصحاح : « الكِسفة من الشيء يقال أعطني كسفة من ثوبك أي قطعة ويقال الكسف والكسفة واحد » وقال الأخفش « من قرأ كسفاً من السماء جعله واحد ومن قرأ كسفاً جعله جمعاً » .

(الظلة) : المظلة الضيقة وما يستظل به من الحر أو البرد وما أظلك كالشجر والجمع ظلل وظلال ويوم الظلة اشتهر بعذابهم فقد رنقت فوقهم سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .

الاعراب :

(كذب أصحاب الأيكة المرسلين) كلام مستأنف مسوق لذكر القصة السابعة والأخيرة في هذه السورة . (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) تقدمت هذه الآية وما بعدها في جميع القصص السبع وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة . ولم يقل أخوهم كما قال في الأنبياء قبله لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب ، فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيباً لأنه كان منهم . (إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) آيات تقدمت في القصص السبع . (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) أوفوا فعل أمر وفاعل والكيل مفعول به والواو حرف عطف ولا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها ومن المخسرين خبر تكونوا ، قال الزمخشري : « الكيل على ثلاثة أضرب : واف وطفيف وزائد ، فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه » . (وزنوا بالقسطاس المستقيم) اعرابها واضح . (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الواو عاطفة ولا ناهية وتبخسوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والناس مفعول به أول وأشياءهم مفعول به ثان .

وفي أقوالهم « لا تبخس أخاك حقه » . ولا تعثوا عطف على ولا تبخسوا وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتعثوا ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها وأما لفظهما فمختلف . (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر وفاعل والذي مفعول به وجملة خلقكم صلة والجبلة عطف على الذي والأولين صفة للجبلة . (قالوا إنما أنت من المسحرين) إنما كافة ومكفوفة وأنت مبتدأ ومن المسحرين خبر والجملة مقول القول . (وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين) الواو عاطفة وما نافية وأنت مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلنا نعت لبشر والواو حرف عطف وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف ونظنك فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به واللام الفارقة ومن الكاذبين خبر قال الزمخشري : « فإن قلت إن المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه ؟ قلت : أصلهما أن تتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقاً وإن ظننته لمنطلقاً » . (فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) الفاء الفصيحة وأسقط فعل أمر وعلينا متعلقان بأسقط وكسفاً مفعول به ومن السماء صفة لكسفاً وإن شرطية وكنت فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومن الصادقين خبر كنت وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأسقط علينا . (قال ربي أعلم بما تعملون) ربي مبتدأ وأعلم خبر والجملة مقول القول وبما متعلقان بأعلم وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول . (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) الفاء عاطفة وكذبوه فعل وفاعل ومفعول به فأخذهم فعل ومفعول به وعذاب يوم الظلة فاعل وان واسمها

وجملة كان خبرها ، واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وعذاب خبر كان ويوم مضاف اليه وعظيم صفة • (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم اعرابها •

البلاغـة :

فن التكرير :

في هذه القصص السبع كرر في أول كل قصة وفي آخرها ما كرر مما أشرنا اليه لأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وترسيخاً لها في الصدور مع تعليق كل واحدة بعلة ، وفن التكرير فن دقيق المأخذ وربما اشتبه على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالتطويل مرة أخرى ، وهو ينقسم الى قسمين :

القسم الاول من التكرير :

يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عنـــد مثلهـم مقـــام

القسم الثاني من التكرير :

يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك : أطعني ولا تعص أوامري ، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية •

وعلى كل حال ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره •

وزعم قوم أن أبا الطيب المتنبي أتى بتكرير لا حاجة به إليه في قوله :

العارض الهتن بن العارض الهتن بن العا

رض الهتن بن العارض الهتن

وليس في هذا البيت من تكرير فإنه كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف بكذا وكذا أي انه عريق النسب في هذا الوصف ، وقد ورد في الحديث النبوي مثله كقوله صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف النبي: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » فالبيت كالحديث النبوي من جهة المعنى لكنه انحط عن الحديث من جهة ألفاظه ، وهي ألفاظ إذا استعملت مفردة كانت حسنة ولكن إيرادها على هذا الوجه المتداخل هو الذي شوه جمالها وأحالها الى ضرب من المغالطة اللفظية غضت منها وهذا أمر مرده الى الذوق وحده فهو الفيصل الذي يحكم في هذه الامور وما أحسن ما قال الفيلسوف الفرنسي فولتير « ذوقك أستاذك » .

التكرير غير المفيد :

أما إذا كان التكرير غير مفيد فهو العي الفاحش ، ومن العجيب أن يتورط شاعر كأبي الطيب المتنبي فيورد البيت الذي أوردناه في مستهل هذا البحث وهو :

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام

ألا ترى أنه يقول لم أر مثل جيراني في سوء الجوار ولا مثلي في

مسايرتهم ومقامي عندهم إلا أنه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين ، ومثله قوله :

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا

قلاقل دهر كلهن قلاقل

وكذلك قوله :

عظمت فلما لم تكلم مهابة

تواضعت وهو العظم عظماً على عظم

قال أحد النقاد القدامى فيه : « ولو سمي هذا البيت جبانة لكان لا ثقاً به » والظاهر أن هذا الناقد يكره التكرير وقد صور له كرهه إياه قصيدة ابن الرومي في المرأة التي أولها :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان

فيهن نوعان تفاح ورمان

غير جميلة أو من هذا الضرب فقال : « هذه دار البطيخ فاقرءوا نسيبها تعلموا ذلك » .

ولسنا ننكر أن ابن الرومي قد بالغ في غزلها وأكثر من ذكر العناب والبان والنرجس ولكنه واقع موقعه ولا سبيل الى النيل منه . ونعود الى أبي الطيب فقد أكثر من التكرير حتى أسف في كثير من أبياته مع أنه شاعر العربية الأول فقال :

أسـد فرائسهـا الأسود يقودهـا

أســد تصــير له الاسود ثعالبــا

قال ابن رشيق : « ما أدري كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً » وقال الاصمعي لمن أنشده قوله :

فما للنوى جـذ النوى قطـع النوى

كــذاك النوى قطّاعــة لوصــال

« لو سلط الله على هذا النوى شاة لأكلته كله » .

وأما قول أبي نواس :

أقمنا بهــا يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحـل خامس

فقال ابن الأثير في المثل السائر : « مراده أنهم أقاموا أربعة أيام ويا عجباً له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن وهي :

ودار نـدامى عطلـوها وأدلجـوا

بهــا أثر منهــم جــديد ودارس

مساحب منجر الزقــاق عــلى الثرى

وأضغــاث ريحــان جـنيّ ويابس

حبست بهـا صحبي فجـددت عهـدهم

وإني عــلى أمشــال تلك لحابس

تـــدار علينـــا الراح في عسجـــدية
حبتهـــا بأنواع التصـــاوير فـــارس

قرارتهـــا كسـرى وفي جنباتهـــا
مهـــا تدريهـــا بالقسيّ الفـــوارس

فللـرّاح ما زرّت عليـــه جيوبهـــا
وللمـــاء ما دارت عليـــه القـلانس

وقد أخطأ ابن الأثير وفهم البيت خطأ ولم يمعن النظر فيه فنقده ولو أنه أمعن النظر لما قال فيه هذا القول ، والمعنى الصحيح : ان المقام ستة أيام لأنه قال وثالثاً ويوماً آخر له اليوم الذي رحلنا فيه خامس .

وأبو نواس أجل قدراً من أن يسف ويأتي بهذه العبارة لغير معنى طائل وله في الخمر أبيات منقطعة النظير وقد تدق على الافهام ، حكي عنه أنه ذكر عند الرشيد قوله :

فاسقني البكر التي اعتجرت بخمـار الشيب في الرحـم

فقال الرشيد لمن حضر : ما معناه ؟ فقال أحدهم : إن الخمر إذا كانت في دنّها كان عليهـا شيء مثل الزبد فهو الشيب الذي أراده ، وكان الاصمعي حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين إن أبا علي أجـل خطراً وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال : إن الكرم أول ما يخرج العنقود في الزرجون يكون عليه شيء يشبه القطن فقـال الأصمعي : ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظراً مما قلتم .

عود الى الآيات :

ونعود فنقول إنما كرر القرآن هذه الآيات في أول كل قصة وآخرها لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصابها وقر وقلوب غلف ، فلم يكن بد من مراجعتها بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح مغالقها ويجلو ما تحيفها من صدأ . وسيأتي من التكرير في القرآن ما يسكر النفوس ويخلب الألباب .

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

اللغـة :

(الأعجمين) : قال الزمخشري : الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد ، وقرأ الحسن : الأعجميين ، ولما كان من يتكلم بلسان غير

لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين ، وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغـيرها أعجم قال حميد :

ولا عربياً شاقه صوت أعجما

قلت : وهذا عجز بيت وصدره :

« ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها »

والبيت من أبيات لحميد بن ثور وقد رحلت صاحبته ومنها :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر ترحة وتنـدما

عجبت لها أنّى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما

ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعجما

وساق حر مركب إضافي وهو ذكر الحمام مطلقاً يقول : وما حرك هذا الشوق وبعثه فتوقد في قلبي إلا حمامة دعت ذكرها ، والترحة : الحزن ضد الفرحة ، والتندم : التأسف عـلى ما فات ، ويروى وترنما وهو تحسين الصوت وهما نصب على الحالية أي حزينة ومتأسفة أو ذات ترحة وذات تندم ، وأنى اسم استفهـام بمعنى كيف والاستفهام معناه هنا التعجب وفغر فاه يفغره من باب نفع فتحه أي والحال أنها لم تفتح فمها بنطقهـا وانما يخرج صوتهـا من صدرها ، وشاقه تسبب له في الشوق ، والعربي المفصح والأعجم الذي لا يفصح من الحيوان نقلته العرب لمن لا يفهمون كلامه ولا يفقهون مراده وربما ألحقوه ياء النسب للمبالغة في شدة العجمة ، وبينه وبين عربي طباق التضاد .

واستشكل كيف يجمع الأعجم جمع المذكر السالم وهو وصف على وزن أفعل في المذكر وعلى وزن فعلاء في المؤنث وشرط الجمع بالياء والنون أو بالواو والنون أن لا يكون الوصف كـذلك ، وأجيب بأنه جمع أعجمي بياء النسب وحـذفت للتخفيف كأشعرين في أشعري ، والكوفيون يجيزون جمع أفعل فعلاء جمع المذكر السالم وقال صاحب التحرير : « قوله على بعض الاعجمين جمع أعجمي ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة » . وعبارة القاموس : « العجم بالضم وبالتحريك خـلاف العرب رجـل وقوم أعجم والأعجم من لا يفصح كالأعجمي والأخرس وزياد الشاعر والموج لا يتنفس فـلا ينضح ماء ولايسمع له صوت والعجمي من جنسه العجم وان أفصح وجمعه عَجَم ».

الاعراب :

(وانه لتنزيـل رب العالمـين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص وتأكيد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإن إخباره عن الامم المتقـدمة وهو الأمي الـذي لا يقرأ ولا يكتب لا يكون إلا عن طريق الوحي والضمـير يعود عـلى القرآن لأن هذه القصص جزء منه . وان واسمها واللام المزحلقة وتنزيل رب العالمين خبرها . (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) الجملة صفة لتنزيل وبه في موضع الحال أي ملتبساً به فالباء للملابسة والروح فاعل والأمين صفة وعلى قلبك متعلقان بنزل واللام للتعليل وتكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام ومن المؤمنين خبر تكون. (بلسان عربي مبين) بلسان جار ومجرور متعلقان بالمنذرين لأنه اسم مفعول أي من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالـح

وشعيب واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، أو انه بدل من قوله به بإعادة العامل أي نزل بلسان عربي أي باللغة العربية • (وإنه لفي زبر الأولين) عطف على ما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة وفي زبر الأولين خبر إن يعني أن ذكره مثبت في الكتب السماوية • (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي التقريعي والواو عاطفة على مقدر ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لآية وتقدم عليها وآية خبر يكن المقدم وأن يعلمه في تأويل مصدر اسم يكن وعلماء بني إسرائيل فاعل يعلمه • وهؤلاء العلماء هم خمسة قد أخبروا بالقرآن وهم عبد الله بن سلام وأسد وأسيد وثعلبة وابن يامين وقد أسلموا وحسن إسلامهم • (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) الواو عاطفة ولو شرطية امتناعية ونزلناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وعلى بعض الأعجمين متعلقان بنزلناه • (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) الفاء عاطفة وقرأه فعل ماض وفاعل مستتر يعود على بعض الأعجمين ومفعول به وعليهم متعلقان بقرأه وجملة ما كانوا مؤمنين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وبه متعلقان بمؤمنين ومؤمنين خبر كانوا • (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) الكاف نعت لمصدر محذوف مقدم أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها وسلكناه فعل وفاعل ومفعول به وفي قلوب المجرمين متعلقان بسلكناه • (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الجملة مستأنفة أو حالية من الهاء في سلكناه أو من المجرمين فعلى الاول تكون الجملة بمثابة الايضاح والتلخيص لما تقدم وعلى الثاني يكون التقدير سلكناه حالة كونه غير مؤمن به ، ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع وفاعل وبه متعلقان بيؤمنون وحتى حرف غايه

وجر ويروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والواو فاعل والعذاب مفعول به والاليم صفة . (فيأتيهم بغتة وهـم لا يشعرون) الفاء حرف للتعقيب قال الزمخشري : « فإن قلت : ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهـم بغتة فيقولوا ... ؟ قلت : ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود ، وانما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه ، إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله عقيب مقت الصالحين ، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء » وهكذا سبر الزمخشري أغوار القرآن الكريم وألمّ بخفاياه إلمام الخبير بمواقع الأسرار . ويأتيهم معطوف على يروا والفاعل مستتر تقديره هو والهاء مفعول به وبغتة حـال والواو واو الحال وهم مبتـدأ وجملة لا يشعرون خبر . (فيقولوا هل نحن منظرون) الفاء عاطفة كما تقدم والكلام كله مقدم من تأخـير ويقولوا عطف على يأتيهم وهـل حرف استفهـام ونحن مبتـدأ ومنظرون خبر والجملة مقول القول ومعنى الاستفهام هنا التحسر والاستبعاد لما هو محال وهو إمهالهم بعد حلول العذاب بهم .

الفوائـد :

شروط جمع المذكر السالم :

يشترط في كل ما يجمـع جمع المـذكر السالم من اسم أو صفة ثلاثة شروط :

آ ــ الخلو من تاء التأنيث فلا يجمع هذا الجمع من الأسماء نحو طلحة ، ولا من الصفات نحو علاّمة بتشديد اللام لئلا يجتمع فيهما علامتا التأنيث والتذكير .

ب ــ أن يكون لمذكر فلا يجمع هذا الجمع علم المؤنث نحو زينب ولا صفة المؤنث نحو حائض .

جـ ــ أن يكون لعاقل لأن هذا الجمع مخصوص بالعقلاء فلا يجمع نحو واشق علماً لكلب وسابق صفة لفرس ، ثم يشترط أن يكون إما علماً غير مركب تركيباً مزجياً ولا إسنادياً فلا يجمع المركب المزجي نحو معدي كرب وسيبويه ، وقيل إن المختوم بويه يجمع هذا الجمع فيقال سيبويهون ومنهم من يحذف ويه فيقول سيبون ، أما المركب الاضافي فيجمع أول المتضايفين ويضاف للثاني فيقال غلامو زيد وغلامي زيد ، والكوفيون يجمعونهما معاً ، وأما صفة تقبل التاء المقصود بها معنى التأنيث فلا يجمع هذا الجمع نحو علامة ونسابة لأن التاء فيهما لتأكيد المبالغة لا لقصد معنى التأنيث ، أو صفة لا تقبل التاء ولكنها تدل على التفضيل فالصفة التي لا تقبل التاء نحو قائم ومذنب تقول قائمة ومذنبة والصفة التي تدل على التفضيل نحو أفضل فهذه الصفات الثلاث تجمع هذا الجمع كما تجمع بالألف والتاء فيقال قائمون ومذنبون وأفضلون كما يقال قائمات ومذنبات وفضليات ، فلا يجمع هذا الجمع نحو جريح بمعنى مجروح وصبور بمعنى صابر وسكران وأحمر وأعجم فإنها لا تقبل التاء ولا تدل على تفضيل لأن جريحاً وصبوراً مما يستوي فيه المذكر والمؤنث وسكران مؤنثه سكرى وأحمر مؤنثه حمراء وأعجم مؤنثة عجماء فلا يقال جريحون وصبورون وسكرانون وأحمرون كما

لا يقال جريحات وصبورات وسكرانات وحمراوات وعجماوات فلو جعلت أعلاماً جاز الجمعان .

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

الاعراب :

(أفبعذابنا يستعجلون) الهمزة للاستفهام التوبيخي والتهكمي والإنكاري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام وقد سبق تقريره والتقدير : أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون ، هكذا قدره بعض المعربين ولكنه لا يخلو من إيهام،

فالأولى أن يقدر : أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون ، وقدم الجار والمجرور لأمرين : لفظي وهو مراعاة الفواصل ومعنوي وهو الإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به العذاب ، والجار والمجرور متعلقان بيستعجلون . (أفرأيت إن متعناهم سنين) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف ورأيت معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض والتاء فاعل رأيت ورأيت بمعنى أخبرني فتتعدى الى مفعولين أحدهما مفرد والآخر جملة استفهامية غالباً وإن شرطية ومتعناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به وسنين ظرف متعلق بمتعناهم .

(ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) ثم حرف عطف وجاءهم فعل ومفعول به وما فاعل جاءهم وجملة كانوا صلة والواو اسم كان وجملة يوعدون خبرها .

ثم : تنازع أفرأيت وجاءهم في قوله « ما كانوا يوعدون » فإن أعملت الثاني وهو جاءهم كما تقدم في الاعراب رفعت به « ما كانوا » فاعلاً به ، ومفعول أرأيت الأول ضميره ولكنه حذف والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله « ما أغنى عنهم » ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الاول المحذوف وهو مقدر تقديره : أفرأيت ما كانوا يوعدونه ، وإن أعملت الاول نصبت به «ما كانوا» مفعولاً به وأضمرت في جاءهم فاعلاً به والجملة الاستفهامية مفعول ثان أيضاً والعائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله والشرط معترض وجوابه محذوف . وقد تقدم البحث مستوفى في هذا التعبير في سورة الأنعام وهذا كله إنما يتأتى على قولنا إن « ما » استفهامية ولا يضيرنا تفسيرهم لها بالنفي فإن الاستفهام قد يرد للنفي ، وأما إذا جعلتها نافية ، فتكون حرفاً ، ولا يتأتى ذلك لأن مفعول أرأيت الثاني

لا يكون إلا جملة استفهامية وقد ذكر هذا مفصلاً كما ذكرت أقوال المعربين في سورة الانعام فجدد به عهداً • (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ما استفهامية كما تقدم مفعول مقدم لأغنى وأغنى فعل ماض وعنهم متعلقان بأغنى وما مصدرية أو موصولة وعلى كل حال هي ومدخولها أو هي وحدها فاعل أغنى والتقدير ما أغنى عنهم تمتعهم أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي وقيل ما نافية ولا فرق بينهما كما تقدم • (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية وأهلكنا فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وقرية مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول أهلكنا وإلا أداة حصر ولها خبر مقدم ومنذرون مبتدأ مؤخر والجملة صفة لقرية أو حال منه وسوغ ذلك سبق النفي وقد تقدم الزمخشري رأي جميل في مثل هذا التعبير ونعيده هنا قال : « فإن قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله : وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ؟ قلت : الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله : سبعة وثامنهم كلبهم » •

(ذكرى وما كنا ظالمين) مفعول لأجله على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، وجوز أبو البقاء أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي هذه ذكرى والجملة اعتراضية ، وأعربها الكسائي حالاً أي مذكرين، وأعربها الزجاج مصدر والعامل منذرون لأنه في معنى مذكرون ذكرى أي هذه ذكرى والجملة اعتراضية،وأعربها الكسائي حالاً أي مذكرين ، (وما تنزلت به الشياطين) الواو عاطفة وما نافية وتنزلت فعل ماض وبه جار ومجرور متعلقان بتنزلت والضمير للقرآن والشياطين فاعل تنزلت (وما ينبغي لهم وما يستطيعون) الواو عاطفة وما نافية وينبغي فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على

القرآن ولهم متعلقان بينبغي وما يستطيعون عطف على ما ينبغي ومفعول يستطيعون محذوف تقديره ذلك . (إنهم عن السمع لمعزولون) الجملة تعليل لعدم استطاعتهم أن يتنزلوا به وان واسمها وعن السمع متعلقان بمعزولون واللام المزحلقة ومعزولون خبر إن . (فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) الفاء الفصيحة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره ، ولا ناهية وتدع فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت ومع ظرف متعلق بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لإلهاً وتقدم عليه وإلهاً مفعول به وآخر صفة لإلهاً ، فتكون الفاء فاء السببية وتكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء واسم تكون مستتر تقديره أنت ومن المعذبين خبر تكون . (وأنذر عشيرتك الأقربين) الواو عاطفة وأنذر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعشيرتك مفعول به والأقربين صفة ، وسيأتي بحث واف عن هذا الانذار في باب الفوائد .

(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) عطف أيضاً واخفض جناحك فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ولمن متعلقان باخفض وجملة اتبعك صلة من ومن المؤمنين حال . (فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) الفاء عاطفة وإن شرطية وعصوك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ، فقل الفاء رابطة للجواب وان واسمها وبريء خبرها ومما متعلقان ببريء وجملة تعملون صلة وجملة اني بريء مقول القول ولذلك كسرت همزة إن . (وتوكل على العزيز الرحيم) عطف على ما تقدم وعلى العزيز متعلقان بتوكل . (الذي يراك حين تقوم) الذي صفة للعزيز الرحيم وجملة يراك صلة وحين ظرف متعلق بيراك وجملة تقوم مجرورة بإضافة الظرف اليها ومتعلق تقوم

محذوف أي الى الصلاة (وتقلبك في الساجدين) عطف على الكاف في يراك وفي الساجدين حال وفي بمعنى مع أي مصلياً مع الجماعة ، وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه : هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن ؟ فتلا هذه الآية ، وقال بعضهم المراد بالساجدين المؤمنون أي يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين منذ زمن آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (إنه هو السميع العليم) ان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والسميع العليم خبران لإن أو للضمير والجملة الاسمية خبر إن •

الفوائـد :

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الأقرب فالأقرب، فلما أنزل الله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعاهم الى دار عمه أبي طالب وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه وفيهم أعمامه ، فأنذرهم فقال يا بني عبد المطلب : لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • وروي انه قال : يا بني عبد المطلب ، يابني هاشم ، يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً ، ثم قال : يا عائشة بنت أبي بكر ، ويا حفصة بنت عمر ، ويا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئاً •

وهناك روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى نجتزىء بما تقدم منها •

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

الاعراب :

(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) كلام مستأنف مسوق لإبطال كونه كاهناً يتلقى من الشياطين ، وهل حرف استفهام وأنبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وعلى من جار ومجرور متعلقان بتنزل وقدم للاهتمام به ولأن للاستفهام صدر الكلام ، وهو معلق لفعل التنبئة عن العمل والجملة سدت مسد المفعولين الثاني والثالث وتنزل فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه والأصل تتنزل ، والشياطين فاعل تنزل . (تنزل على كل أفاك أثيم) الجار والمجرور متعلقان بتنزل ، وهو بدل من الجار والمجرور قبله وأفاك مضاف الى كل وأثيم صفة وهم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطلحة . (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) يلقون فعل مضارع والواو فاعل وهو يعود على الشياطين فتكون الجملة حالية أو يعود على كل أفاك أثيم من حيث أنه جمع في المعنى فتكون الجملة مستأنفة أو صفة لكل أفاك أثيم ، ومعنى إلقائهم

السمع إنصاتهم الى الملأ الأعلى ليسترقو شيئاً أو القاء الشيء المسموع الى الكهنة ، والسمع مفعول به والواو حالية وأكثرهم مبتدأ وكاذبون خبر والجملة حالية . (والشعراء يتبعهم الغاوون) كلام مستأنف أيضاً مسوق لإبطال كونه شاعراً كما زعموا وسيأتي بحث ضاف عن الشعر ومن هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون في باب الفوائد والشعراء مبتدأ وجملة يتبعهم خبر ويتبعهم فعل مضارع ومفعول به مقدم والغاوون فاعل مؤخر . (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) الجملة مفسرة والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر وفي كل واد متعلقان بيهيمون ويهيمون فعل مضارع وفاعل والجملة خبر أنهم،ويجوز أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف هو الخبر وجملة يهيمون حالية ، وتمثيل ذهابهم في كل شعب من القول بالوادي سيأتي بحثه في باب البلاغة . (وأنهم يقولون مالا يفعلون) جملة معطوفة . (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) إلا أداة استثناء والذين مستثنى من الشعراء المذمومين وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة وذكروا الله عطف أيضاً وكثيراً صفة لمفعول مطلق محذوف أي ذكروا الله ذكراً كثيراً أو صفة لظرف زمان محذوف أي وقتاً كثيراً .

(وانتصروا من بعد ما ظلموا) عطف على ما تقدم وما مصدرية أي من بعد ظلمهم من إضافة المصدر لمفعوله . (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الواو استئنافية والسين حرف استقبال ويعلم فعل مضارع والذين فاعله وجملة ظلموا صلة وأي منقلب منصوب على المفعولية المطلقة لأن أيا تعرب بحسب ما تضاف إليه وقد علقت يعلم

عن العسل ، هذا والعامل في أي هو ينقلبون لا يعلم لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها ، قال النحاس : « وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني في بعض » .

البلاغة :

في قوله تعالى : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » استعارة تمثيلية لطيفة وليس ثمة واد ولا شعاب ولا هيام وانما هو تغلغل الى مناحي القول ، واعتساف في الأوصاف والتغزل والتشبيب والنسيب وقلة مبالاة بما يهتكونه من أعراض ، ويرجفون به من أقوال ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الشعر في باب الفوائد ، وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله :

فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض اغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد ، فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله « وأنهم يقولون مالا يفعلون » .

الفوائد :

١ ـ فضل الشعر :

واستثناء الشعراء الصالحين الذين ينافحون دون الأوطان ، ويدعون الى الفضائل والاصلاح ، ويصورون عيوب المجتمع وسيئاته لرأب صدوعه ، يدل على ما للشعر من مكانة سامية ومنزلة عالية ، وقد

روى البخاري عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من الشعر حكمة ، وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال : إن من البيان سحراً وان من الشعر حكمة • أخرجه أبو داود ، وقالت عائشة رضي الله عنها : الشعر كلام منه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ، وقال الشعبي : كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة رضي الله عنهم أجمعين •

بين النظم والنثر :

وقال صاحب العمدة : « وكلام العرب نوعان : منظوم ومنثور ، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ومتوسطة ورديئة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدر ، وهو أخو اللفظ ونسيبه ، إليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ومن أجله انتخب ، وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع وتدحرج عن الطباع •

الكذب مذموم إلا من الشعراء :

ومن فضائله أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن" فيه ، وحسبك ما حسّن الكذب واغتفر له قبحه ، فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل الى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه فأرسل اليه أخود : ويحك ان النبي أوعدك لما بلغه عنك وقد كان أوعد رجالاً بمكـة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم يعني ابن خَطَل وابن حَبابة وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعْرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله فإنه لا يقتل من جاء تائباً وإلا فانج الى نجائك فإنه والله قاتلك ، فضاقت به الارض فجاء الى رسول الله متنكراً فلما صلى البني صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله ثم قال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً أفتؤمنه فآتيك به ؟ قال : هو آمن فحسر كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك أنا كعب بن زهير فأمنه رسول الله وأنشد كعب قصيدته التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّم إثرها لم يفـد مكبول

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله :

أنبئت أن رسـول اللـه أوعـدني
والعفو عنـد رسـول اللـه مأمول

مهـلاً هداك الذي أعطـاك نافلة القـ
ـرآن فيهـا مواعيـظ وتفصيـل

لا تأخـذني بأقوال الوشـاة فلم
أذنب وقـد كثـرت فيّ الأقـاويل

فلم ينكر عليه النبي قوله ، وما كان ليوعده على باطل ، بل تجاوز عنه ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم وقال العتبي بعشرين ألفاً وهي التي توارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بحسّان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أرغاء كرغاء البعير ، فقال حسان : دعني عنك ياعمر فوالله انك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد لمن هو خير منك فما يغير عليّ ذلك فقال عمر : صدقت .

وقال صاحب العمدة : « فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون مالا يفعلون » فهو غلط وسوء تأول لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسّوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا » يريد شعراء النبي الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وقد قال فيهم النبي صلى الله عليهم وسلم «هؤلاء النفر أشدّ على قريش من نضح النبل » وقال لحسان بن ثابت : « اهجهم — يعني قريشاً — وروح القدس معك فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً» فإنما هو من غلب الشعراء على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فرضه ومنعه من ذكر الله تعالى . وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجِلّة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين :

فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا : واسمه عبد الله بن عثمان ويقال : عتيق لقب له قال في غزوة عبيدة ابن الحارث :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت أوامر في العشيرة حادث

ترى من لؤي فرقة لا يصدّها
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسولٌ أتاهم صادق فتكذّبوا
عليه وقالوا : لست فينا بماكث

إذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا
وهرّوا هرير المجْمَرات اللواهث

فكم قد متتنا فيهمْ بقرابة
وترك التقى شيء لهم غير كارث

فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم
فما طيبات الحلّ مثل الخبائث

وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم
فليس عذاب الله عنهم بلابث

فأولى برب الراقصات عشيةً
حراجيح تخدي في السريح الرثائث

كأدم ظباء حول مكة عكف
يردن حياض البئر ذات النبائث

لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم
ولست إذا آليت قولاً بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق
تحرم اطهار النساء الطوامث

تغادر قتلى تعصِبُ الطيرُ حولهم
ولا يرأف الكفار رأف ابن حارث

فأبلغ بني سهم لديك رسالةً
وكل كفور يبتغي الشر باحث

فإن شتموا عرضي على سوء رأيهم
فإني من أعراضهم غير شاعث

هذا ولا بد من الإلماع الى أن ابن هشام قال في سيرته : «وأكثرأهل العلم ينكر هذه القصيدة لأبي بكر» •

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة :

هوّن عليك فإن الأمو ر بكف الإله مقاديرها
فليس يأتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس إليه :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
يبقى الإله ويفنى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له
والجنّ والإنس فيما بينها ترد

حوض هنالك مورود بلا كذب
لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ومن شعر عثمان بن عفان رضي اللـه عنه :

غنى النفس يغني النفس حتى يكفّهـا
وإن عضّهـا حتى يضـر بهـا الفقر

وما عسـرة ـ فاصبر لها إن لقيتهـا ـ
بكائنـة إلا سيتبعهـا يسـر

ومن شعر علي بن أبي طالب ما قالـه يوم صفين يذكر همـدان ونصرهم إياه :

ولـما رأيت الخيـل ترجـم بالقنـا
نواصيّهـا حمـر النحـور دوامي

وأعرض نقـع في السماء كأنـه
عجاجـة دجـن ملبَس بقتـام

ونادى ابن هنـد في الكلاع وحمـير
وكنـدة في لخـم وحيّ جـذام

تيمّمت همـدان الـذين همُ همُ
ـ إذا نـاب دهر ـ جُنتي وسهـامي

فجاوبني من خيـل همـدان عصبةٌ
فوارس من همـدان غـير لئـام

فخاضوا لظاهـــا واستطاروا شرارهـــا
وكانوا لـــدى الهيجا كشَرب مـــدام

فلـــو كنت بوّاباً عـــلى باب جنـــة
لقلـــت لهمـــدان ادخـــلوا بســـلام

ومن شعر الحسن بن علي وقـد خرج عـلى أصحابه مختضباً ، رواه المبرد :

تسوّد أعـــــلاها وتأبى أصولهـــا
فليت الـــذي يسودّ منهـا هو الأصل

ومن شعر الحسين بن علي وقد عاتبه أخوه الحسن في امرأته :

لعمـــرك انـــني لأُحـــب داراً
تحـــل بهـــا سكينته والربـــاب

أحبهـــا وأبـــذل جـــلّ مـــالي
وليـــس للائمـــي عنـــدي عتـــاب

ومن الخلفاء كثيرون قالوا الشعر فمن شعر عمر بن عبد العزيز :

أيقظـــان أنت اليـــوم أم أنت حالـــم
وكيف يطيق النوم حـــيران هائـــم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت
جفوناً لعينيك الدموع السواجم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغل فيما سوف تكره غبّه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

واشتهر من الفقهاء محمد بن ادريس الشافعي بالشعر فكان من أحسن الناس افتناناً بالشعر ، وهو القائل :

ومتعب العيس مرتاحاً إلى بلد
والموت يطلبه في ذلك البلد

وضاحك والمنايا فوق مفرقه
لو كان يعلم غيباً مات من كمد

من كان لم يؤت علماً في بقاء غد
ماذا تفكره في رزق بعد غد

ومن روائعه المشهورة قوله في الحظ :

الجدّ يدني كلّ شيء شاسع
والجدّ يفتح كل باب مغلق

فإذا سمعت بأن مجدوراً حوى
عوداً فأورق في يديه فصدق

وإذا سمعت بأن محروماً أتى
ماء ليشربه فجفّ فحقق

وأحقّ خلق الله بالهم امرؤ
ذو همة يُبْلَى برزق ضيق

ولربّما عرضت لنفسي فكرة
فأودّ منها أنني لم أخلق

وحسبنا ما تقدم من الاستشهاد فذلك قد يخرج بنا عن الغرض .

نصائح بوالو للشاعر :

هذا ونختم المبحث بالنصائح القيمة التي أوردها الكاتب الفرنسي بوالو للشاعر وخلاصتها : انه على الشاعر أن يتنزه عن الاباحية ، صحيح ان تصوير الحب مباح ولكن بحيث لا يكون في هذا التصوير أي نوع من أنواع التبذّل ، وينبغي أن يتجرد من الغيرة ، إنها آفة من آفات رجال الأدب وهي رذيلة إن وجدت في أحدهم دلت على ضعف مواهبه . ثم ينبغي عليه أن يكون طيب الصحبة ممتع الحديث ، ثم إن مما يشين شاعراً من الشعراء أن يوجه همه الى كسب المال ، كما يجدر به — على

العكس ـ أن يسعى لبلوغ المجد ، وعليه أن لا يحطّ من قدر الشعر ذلك الفن الإلهي الذي هذب فيما مضى النفوس وألهب فيها الوطنية وعلم الحكمة والفضيلة .

٢ ـ من هو سطيح الكاهن :

روى التاريخ أن سطحياً الغساني كان أكهن الناس وقد أنذر بسيل العرم وكان جسده يدرج كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه واذا مست باليد أثرت فيه للين عظمها وكان أبداً منسطحاً على الأرض عاش ١٥٠ سنة على ما قيل، ومات في الليلة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كهانته انه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة فأعظم ذلك أهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام أن وادي السماوة قد انقطع في تلك الليلة وكتب إليه صاحب اليمن أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية وكتب إليه صاحب فارس أن النار خمدت تلك الليلة فلما تواترت عليه الكتب أظهر سريره وبرز الى أهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني ، رأيت إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا قال فما عندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي شيء ولكن أرسل الى عاملك في الحيرة يوجه اليك رجلاً من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان فوجه اليه عبد المسيح بن نفيلة الغساني فأخبره كسرى بالخبر فقال : أيها الملك ما عندي فيها من شيء ولكن جهزني الى خالي سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال :

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن

أتاك شيخ الحيّ من آل سنن

أبيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع اليه سطيح رأسه وقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، أقبل الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، حتى اقتحمت الواد وانتشرت في البلاد ، يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة ، وفاض وادي السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات ، بعدد ما سقط من الشرفات ، وكل ما هو آت آت ثم قال :

إن كان ملك بني ساسان أفرطهم

فإن ذا الدهر أطوار دهارير

منهم بنو الصرح بهرام وأخوته

والهرمزان وسابور وسابور

فربما أصبحوا منهم بمنزلة

يهاب صولهم الأسد المهاصير

حثوا المطي وجدوا في رحيلهم

فما يقوم لهم سرج ولا كور

والناس أبنـــاء عـــلات فمن علمـــوا

أن قـــد أقـــل فمحقـــور ومهجـــور

والخـــير والشـــر مقرونـــان في قرن

والخـــير متبـــع والشـــر محـــذور

فأتى كسرى فأخبره فغمّه ذلك فقال : الى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان فملكوا كلهم في أربعين سنة .